
إمرأة
بلا أهمية
تأليف
أوسكار وايلد
ترجمة: ميشيل عبد الأحد
راجعه: حسن محمود

امرأة بلا أهمية

بإشراف
الإدارة العامة للثقافة
وزارة التربية والتعليم
الإقليم الجنوبي

تصدر هذه السلسلة

بمعاونة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب
والعلوم الاجتماعية



إمرأة بلا أهمية

تأليف

أوسكار وايلد

ترجمة

ميشيل عبد الأحد

مراجعة

حسن محمود

الكرنك

للنشر والطبع والتوزيع

عمارة رمسيس . ميدان رمسيس

(باب الحديد) . القاهرة

هذه ترجمة مسرحية

A Woman of No Importance

تأليف

Oscar Wilde

أوسكار وايلد

(١٨٥٦ — ١٩٠٠)

قال أوسكار وايلد ذات مرة : « فى حياتى نقطتا تحول كبيرتان : الأولى حين أرسلنى والدى إلى أكسفورد ، والثانية حين أرسلنى المجتمع إلى السجن » . ويكشف لنا هذا الاعتراف عن حسن انتقائه للعبارة الطنانة الأخاذة وصدق وصفه لنفسه ، لأن الأحداث الهامة فى حياة هذا الأديب الفذ تدور حول هذين المركزين .

ولد أوسكار وايلد — واسمه الكامل أوسكار فينجال أو فلاهرتى ويلز وايلد Oscar Fingall O ' Flahertie Wills Wilde فى دبلن فى السادس عشر من أكتوبر سنة ١٨٥٦ من أبوين نابهين . كان أبوه سير وليم جراحاً مشهوراً ، وكانت أمه جين فرنسسكا إلجى ، كاتبة وشاعرة ، عرفت باسم اسبرانزا Speranza ، وكانت ثورية النزعة ، فانضمت إلى ثوار إيرلندا ضد الاستعمار البريطانى .

وتلقى اوسكار علومه فى كلية ترينتى بدبلن ، وكلية مجدولين بأكسفورد ، وظهرت عليه أمارات النجابة فى سن مبكرة ؛ فقد فاز فى الكلية الأولى بمدالية ذهبية لمقال كتبه عن شعراء الإغريق الهزليين ، وفاز فى الكلية الثانية حيث تخصص فى الآداب الكلاسيكية ، بجائزة الأدب لقصيدته رافنا[1]. ولكنه بالرغم من هذا التفوق كان موضع سخرية ونقد من طلبة الكلية لإصراره على الظهور بمظهر الرجل الأخنث واحتقاره للألعاب الرياضية العنيفة ، وهى محك رجولة طلبة أكسفورد ، وإرسال شعره كالنساء ، واتخاذه لباساً غريباً ، وتزيين غرفته بريش الطاووس وأزهار الزنبق والتحف الفنية ، وطريقته الخاصة فى الحديث ، فضلا عن أنه تزعم حركة جديدة نادى بها ويسلر G. M. Whistler ، كانت تهدف إلى دراسة الفن للفن فحسب ، دون نظر إلى القيم والغايات . وتأثر وايلد أيضا بمحاضرات جون رسكن Ruskin وباتر Pater ، فأدى سلوكه هذا إلى ثورة طلبة أكسفورد عليه ، فعاقبوه عقابهم التقليدى بغمس رأسه فى الماء ، وتدمير أثاث غرفته ، ولكن البدعة انتشرت ، واصبح وايلد رسول حركة « فن الجمال »

---

(١) Ravenna

وقائدها ، بالرغم من التلميح والتهكم اللذين خصه بهما جلبرت سليفان فى شخصية «كاريكاتورية» من شخوص ملهاته الموسيقية «الصبر» التى مثلت سنة ١٨٨١ ، والصور الهزليه التى صوره بهـا دى موريـيه Du maurier فى مجـلة بنتش Punch الهزلية .

وسافر وايلد بعد تخرجه من اكسـفورد إلي إيطاليا واليونان ، ثم استقر به الترحال فى لندن حيث لمع فى الأوساط الأدبية واشتهر بذكائه اللامع وحضور بديهته وعباراته الطنانة Epigrams التى جرت مجرى الأمثال ، وامتازت بدقة الحـبكة وروعة الأسلوب وعمق المعنى وإن كانت فى بعض الأحيان تنحرف إلى سخف القول وتبدو هراء لايمت إلى الفـكر بصلة .

وجال قلمه وصال فى شتى ميادين الأدب من قصائد شعرية ومقالات وقصص خرافية ومسرحيات وقصص طويلة وفلسفات. فأصدر عام ١٨٨١ أول كتاب له «قصائد شعرية»(١) ولـكنه لم يجتذب الأنظار ، وسافر فى السنة التالية إلى أمريكا ليلقى محاضرات فى «الفن لأجل الفن» فلم تجتذب إلا منحلى الأخلاق ، وكتب هناك مسرحيته «فيرا»(٢) التى اخرجت فى نيويورك ، وتدور

(١) Poems

(٢) Vera

حول ثورة الإرهابيين الروس على القيصر والنظام القيصرى كله ، ولكنها لم تلق النجاح الذى كان يتوقعه لها .

وفى سنة ١٨٨٤ عقد على كونستانس مارى لويد التى ساعدته ثروتها الطائلة على التفرغ لأعماله الأدبية .

وزار باريس عدة مرات فحاز مكانة مرموقة فى صميم الدوائر الأدبية . وفى عام ١٨٨٨ ظهرت له مجموعة من القصص القصيرة : الأمير السعيد(١) ، وجريمة لورد أرثر سيفل(٢)، وقصص الجنيات(٣)، وبيت الرمان(٤) التى قال إنه لم يكتبها للطفل البريطاني ، ولا للجمهور البريطاني . وامتازت سنة ١٨٩١ بصدور قصته المشهورة «صورة دوريان جراى»(٥) وكتاب «النيات»(٦) الذى يحتوى على أهم مقالاته ، وقصة « دوقة بادوا »(٧) وهى مأساة أخرجت فى نيويورك ، كما تمتاز السنوات من ١٨٩٢ إلى ١٨٩٥ بمسرحياته الهزلية الاجتماعية التى تثبت له الخلود بما

---

(١) The Happy Prince

(٢) Lord Arthur Sevile's Crime

(٣) Fairy Tales

(٤) The House of Pomegranates

(٥) The Picture of Dorian Gray

(٦) Intentions

(٧) The Duches Of Padua

زخرت به من أفكار وما شفت عنه من ذكاء ، وهى « مروحة ليدى وندرمير »[1] سنة ١٨٩٢ التى مثلت فى مسرح سان جيمس ، و « امرأة بلا أهمية »[2] سنة ١٨٩٣ ، و « الزوج المثالى »[3] و « أهمية أن يكون الإنسان جادا »[4] سنة ١٨٩٥ . وفى سنة ١٨٩٣ منعت الرقابة نشر مسرحيته « سالومى »[5] ، ولكنها نشرت بالفرنسية وأخرجت فى باريس ثم ترجمت إلى الإنجليزية بقلم صديقه لورد ألفرد دوجلاس .

ووقعت الكارثة التى أودت به وهو فى أوج شهرته ، فوجهت الانتقادات إلى حياته الخاصة ، ولم تقتصر الحملة على التعاليم التى كان ينادى بها أيام اكسفورد ، والآداب المنحلة التى لازمته بعدها فحسب ، بل امتد التلميح إلى علاقات جنسية مريبة بينه وبين لورد ألفرد دوجلاس ، فارتعب أصدقاؤه المخلصون وأبوا أن يصدقوا شيئا ، وعمد هو ، ليزيح عن نفسه الشكوك ، إلى رفع دعوى على المركيز كوينزبرى والد لورد ألفرد دوجلاس وقائد

(١) Lady Windermere's Fan

(٢) A Woman of No Importance

(٣) The Ideal Husband

(٤) The Importance of Being Earnest

(٥) Salome

حملة التشهير به ، فرد هـذا بدعوى ضده سنة ١٨٩٥ ، أثبت التحقيق إدانته فيها ، فحكم عليه بالحبس مع الأشغال الشاقة سنتين فى سجن ردنج ، خرج بعدهمـا سنـة ١٨٩٨ رجلا محطما روحا وجسما ، فلجأ إلى باريس وغيرها متخذا اسما مستعارا هو سباستيان ملموث .

ووجد سلواه فى الخمر ، ظناً منه أنها قد تنسيه مجده الضائع وحماقاته الماضية ، وتخلى عنه أصدقاؤه ، وتدهورت حالته المالية وانتهت حياته الأدبية الرائعة نهـاية محزنة ، وتوفى بباريس فى ٣٠ من نوفمبر سنة ١٩٠٠ ، ودفن فى مقبرة باجنو ، ثم نقل رفاته إلى مقبرة بيرلاشيز حيث يرقد رجال فرنسا الخالدون .

ومن غياهب السجن خرج له كتابان ضمنهما ما حصل عليه من خـبرة مريرة ، وسطرها بإخلاص تام ، وهما كتاب « من الأعمـاق »(١) الذى يحوى إلى جانب الآراء الفلسفيـة الطريفة دفاعاً حاراً عن نفسه ، وقد طبع جزء منـه بعد وفاته بخمس سنوات ، وكتاب « أغنية سجن ردنج »(٢) وهو قصيدة قوية رائعة تلقى الروع فى النفس ، وتستحث الرأفة .

---

(١) De Profundis

(٢) The Ballad of Reading Gaol

ولقد تنبأ الكثيرون بما آلت إليه حياة هذا الكاتب المبدع ، فقد كرس حياته لإشباع الشهوات الرخيصة ، بدلا من التسامى بالنفس ، وهو من عُبّاد الجمال والمنادين بفلسفته ، أو كما قال عنه أرتشيبولد هندرسن :

« كانت عقدة جنونه أنه عمى عن رؤية حقيقة الحياة ، وهى أن الإنسان الذى يكون عبداً لشهواته لن يستطيع أن يكون سيداً على مصيره . . . » . لقد طلق الفن من الحياة ، وهو جزء منها لا ينفصم ، فعمد إلى زخرف الألفاظ وروعة الأسلوب وفقاً لقوانين الجمال التى قدمها على مقاييس الأخلاق المتعارف عليها ، وساق القول فيما قل ودل وجرى مجرى المثل ، إلا أن أقواله جاءت فى مواقف كثيرة من مسرحياته أشبه بالحقائق المشوهة والسفاسف المصطنعة التى تشيع فى الفكر اضطراباً ، وفى النفس حيرة ، وقد تكون للقدوة معثرة ، ولعله سار على هدى أحد أقواله فى إحدى مسرحياته : « إن أول واجبات الحياة هى أن يكون الإنسان سطحياً كلما استطاع إلى ذلك سبيلا .

فإذا أضفنا هذا إلى سيرته الخاصة وخيلائه وتبرمه بالذين لم يؤتوا وفرة من الذكاء ولم يولدوا فى بيوت الأشراف ، أدركنا سر سقوطه السريع .

وبعد وفاته بنيف وعشرين سنة ظهر له كتابان يحويان دفاعاً حاراً عنه ، هما : « بعد ردنج »[1] سنة ١٩٢١ ، و « بعد برنفال »[2] سنة ١٩٢٢ — وهى المدينة التى لجأ إليها بعد خروجه من السجن .

على أن حياته الخاصة لايجب أن تعمينا عن أدبه الرفيع ، وأسلوبه المثالى من حيث روعة الحبكة ، ودقة الصنعة ، ومتانة اللغة ، وهى العناصر التى ما زالت تجتذب إليه القراء والنقاد ورجال المسرح .

ويرى النقاد أن شعر وايلد تطبيق إلى أبعد الحدود لمبدئه « الفن لأجل الفن » . وأول ما يلفت نظرنا فيه أنه شعر عادى لا عمق فيه ولا جدية ، وأنه تقليد أعمى لقدامى الشعراء ، حتى لقد قيل إنه شعر سوينبرن ممزوجاً بالماء . على أنه لا يخلو فى بعض الأحيان من الجمال والفصاحة حين يطلق العنان للجانب السامى من مشاعره القوية التى تغسل ما علق بنفسه الحقيقية من شوائب مصطنعة ، ولاسيما وهو فى ساعات توبته وندمه ، كما نقرأ فى قصيدته هيلاس Hèlas أو فى « أغنية سجن ردنج » حيث ينسى نظرياته فى الفن ويكتب بوحى من قلبه كتابة واقعية تفيض إخلاصاً

---

(١) After Reading

(٢) After Bernaval

ويشعر القارئ معها أنها من إملاء ضمير حى ، ونفس تائبة اكتوت بمرارة التجربة القاسية .

فإذا جئنا إلى « صورة دوريان جراى » ، أروع ما كتب فى القصص الطويل ، نجد أنفسنا قد وقفنا وجهاً إلى وجه أمام شخصية أوسكار وايلد ذاتها ، فهو حين يحلل شخصية دوريان إنما يكشف لنا عن حقيقة نفسه هو ، دون أى ستار من الحياء ، وبالرغم من أن فكرة الفن للفن تؤلف لحمة الكتاب وسداه ، وتشف عنها عباراته قوةً وضعفاً حين نسرع فى تلاوة صفحاته بلذة وشوق ، فالعمل تحفة فنية تعتمد على علم النفس ، فهو قصة رجل ذى شخصية مزدوجة ، شخصية الرسام الذى لمع فى الأوساط الراقية ونال ثقة المجتمع ، فإذا انكشفت له شخصيته الأخرى ، الشخصية الدنيئة القبيحة التى يخجل منها انعكست على الصورة الرائعة التى رسمها فلطختها وأفسدتها . وتذكرنا « صورة دوريان جراى » بقصة دكتور جيكل ومستر هايد للكاتب ستيفنسون R. L. Stevenson (١٨٥٠ – ١٨٩٤) .

ولكن الفصل العاشر من القصة يرينا بوضوح دَيْنَ وايلد فيها لقصة A. Rebours للكاتب الفرنسى هويزمانز Huysmans من مدرسة الأدب الواقعى .

ونلمس نضج وايلد فى كثير من مقالاته ، فهى تمتاز بالجدية والتفكير ، ولا سيما مقالته « النفس الإنسانية فى النظام الاشتراكي »(١) التى تشكل دفاعه الحار عن الاشتراكية بوصفها النظام الذى يضمن لفنان مثله أن يتفرغ للفن من أجل الفن ، دون قلق فيما يتعلق بكسب لقمة العيش والجهود التى تستغرقها هذه اللقمة من وقت الفنان .

ومهما تكن روعة هذه الفنون الأدبية التى مارسها وايلد ، ومهما يكن ضعفها ، فالميدان الذى ظهر فيه نبوغ الرجل بحق هو ميدان المسرح . وقد أسهم بنصيب هام فى فن كتابة المسرحية الإنجليزية وأدبها فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، فمسرحياته تمثل حلقة هامة من حلقات الأسس التقليدية للملهاة الأخلاقية Comedy of manners التى وضع بذورها كونجريف فى القرن السابع عشر ، وتعهدها أوسكار وايلد وشريدان حتى أوصلاها إلى برنارد شو وسمرست موم . فمسرحية وايلد تزاوج بين المسرحية الفرنسية القوية الحبكة ومسرحية عصر عودة الملكية Restoration . ولكن يبدو أن دَيْنَه الأكبر لكونجريف ،

---

(١) The Soul of Man under Socialism

ذلك أن هذين الكاتبين المسرحيين يتشابهان فى حضور البديهة والذكاء الخارق ، وفى روعة أقوالهما القاصمة .

وكان وايلد ينادى بأهمية أسلوب المسرحية ولغتها فى إحداث التأثير اللازم فى جمهور المسرح ، فترى فيها جمال الأسلوب ، ودقة اللغة ، وروعة الحوار ، مع ذكاء لامع وقريحة وقادة تستشف من بين السطور من أول المسرحية إلى آخرها ، وتجعلنا نتسامح و نغفر لوايلد سطحيته وتصنّعه فى إيراد المعاني ولا سيما إذا تذكرنا أنه فى هذين إنما يسير على تقليد المسرحية الأخلاقية فحسب . وجل ما يأخذه النقاد على وايلد أن حواره لا يعطينا صورة واضحة مميزة لشخصيات مسرحياته ، وأن الحكم التى يسوقها على أفواههم لا تمت بصلة وثيقة إليهم ، كأن لهذه الحكم والأمثال شخصية قائمة بذاتها . فشخصياته جميعها لها القدرة على سوق هذه الأمثال كأنه لم يخلقها إلا لتؤدى هذا الدور فحسب ، ولتكون البوق الذى ينادى بفلسفته فى الفن وآرائه فى المجتمع . ولا يجب أن ندهش لذلك ، فوايلد إيرلندى المولد ، وحضور البديهة صفة عامة فى الإيرلنديين لمسناها فى سويفت مؤلف رحلات جلفر ، وفى شريدان وبرنارد شو ، وكلهم إيرلنديون ، تجرى النكتة فى دمائهم ، ويشع الذكاء من نفوسهم ، كما قرأناها بين السطور

فى وليم كونجريف ـ الذى وإن لم يكن إيرلندى المولد ـ فقد كان إيرلندى التربية .

ولا يجب أن نعجب كذلك للدهشة والاستياء والنقد التى قوبلت بها كتابات وايلد فى أول الأمر ، فقد ولد فيما نطلق عليه العصر الفيكتورى للأدب الإنجليزى ، وهو عصر عرف بالتزمت والتعفف والتدين ، وقد ألان الزمن تلك الحدة ، وجاء تصويره للمجتمع صورة طبق الأصل لمجتمعنا العصرى ، وهو وإن كان قد عرض على المسرح صوراً مخجلة لبعض شخصياته : للمرأة التى لها ماض ، وللرجل الذى يعبث بالقيم الأخلاقية ، فقد نجح فى إثارة سخطنا على الآثم ، وإدرار عطفنا على ضحية المجتمع ، كما نال إعجابنا فى جعل الفضيلة تخرج فى نهاية الأمر منتصرة ، فلا نقرأ مسرحياته إلا ونصفق لمسز إرلين ى « مروحة ليدى وندرمير » ومسز شيفلى فى « الزوج المثالى » ومسز أربوثنط فى « امرأة بلا أهمية » ، وهى الشخصيات التى اشتهرت بأنها بطلات وايلد المفضلات ؟

فلنعرض الآن لمغامرات وايلد فى ميدان المأساة ، وهنا يجب أن نعترف بأنه لم يَلْقَ النجاح الذى لقيه فى الملهاة الأخلاقية وهو ميدانه الذى ظهر فيه نبوغه ، وإن كان قد صادف نجاحاً

فى مسرحيته « سالومى » ذات الفصل الواحد التى كان لها الفضل الأول فى شهرته وذيوع صيته ، فإن هذا النجاح يعزى إلى الموسيقى الخالدة التى وضعها لها الموسيقار العظيم ريتشارد شتراوس فى أوبراه الرائعة التى سماها سالومى ، فضلا عن قيام سارة برنار أشهر ممثلة فى العالم فى ذلك الوقت بتمثيل دور سالومى . هذا إلى أن الموضوع طريف يتصل بقصة مشهورة من قصص الإنجيل ، فقد رقصت سالومى ابنة هيروديا عشيقة هيرودس ملك اليهود وزوجة شقيقه الملك أغريباس رقصة الغلائل الحريرية فبلغت نشوة هيرودس بها مبلغاً جعله يعد بإعطائها أغلى ما تطلب ، فأوحت إليها أمها الفاسقة بطلب رأس يوكانان (يوحنا المعمدان فى الإنجيل) لأنه كان يعيب عليها مسلكها الشائن ... ولكن سالومى فتاة القصور تهيم بحب يوكانان على خشونته وغرابة تعاليمه وفلسفته بالنسبة لها ، فتوحى الأم إلى الملك بقتله ، فيفعل الملك كارها ، ويؤتى له برأس النبي يوحنا على طبق ، وتستنزل سالومى اللعنة عليها وعلى حياة الدعارة ، وفى نفس الوقت ينتحر رجل من الحرس الملكى لفشله فى اجتذاب سالومى إليه .

وإن كان وايلد قد نجح فى الملهاة الأخلاقية ، فقد أجمع النقاد على أنه أتقن نوعاً واحداً منها وهو النوع الذى يعرف بالكوميديا التهريجية « Farce » . وتعد مسرحيته « أهمية أن يكون

الإنسان جاداً » أروع ما كُتِبَ للمسرح وخير نموذج لهذا النوع.
ويبدو أن المسارح الغربية لا تمل إخراجها وتمثيلها بالرغم من أنها « ملهاة تافهة لأناس جادين » كما أطلق عليها مؤلفها .
ولكنها تمتاز على جميع ما كتب فى أن حوارها دقيق ومعانيها واقعية ، يقل فيها السخف الوايلدى ، ويستشف فيها الإخلاص ، وفى أن أشخاصها حقيقيون يعيشون فى عالم الواقع ، ولا سيما شخصية إرنست ألجرنون مونكريف الذى يمتلك حب الجمهور بخفة روحه وانطلاق نكاته ، على ما تحمل بين طياتها من سخرية لاذعة ، وتهكم على الناس قاطبةً .

امرأة بلا أهميـــــة

تقع احداث هذه المسرحية ـ منذ فتـح الستار عن الفصل الأول إلي إسداله على الفصل الأخير ـ خلال أربع وعشرين ساعة. وهى تطبيق واقعى لنظريات أرسطو التقليدية فى زمن المسرحية ومكانها ، ولنظريات وايلد فى المسرح وأسلوبه الكتابي وموضوع مسرحياته ، فهى ملهاة أخلاقية أخرى بلغ فيها وايلد مبلغاً عالياً من الشهرة . إنها قصة فتاة ساذجة خُدِعَت بوعود شاب خليع فسلَّمت له نفسها ، ولكنه نكث عهد الزواج بتشجيع من أمه ، ولما لم تفلح توسلاتها ولا نصيحة أبيـه فى حمله على الزواج من ضحيته ، حملت الفتاة وليدها وهجرت بيت أبيها متخذة اسم مسز أربوثنط ، ورفضت بإباء المنحة المالية التى قدمت لها ، مفضلة الكفاح الشريف . ومرت عشرون سنة ، وكبر الفتى وظهر فى المجتمع لورد يعرض عليه وظيفة سكرتير خاص له فيغتبط ويمنى نفسه بمستقبل زاهر ، وترى الأم اللورد وإذا هو الرجل الذى غدر بها ، وأبو وليدها ، فتحذر الفتى منه دون أن تخبره بعلاقته به

ويحاول اللورد إنجورث هذا أن يختلس قبلة من فتاة أمريكية سائحة توثقت بينها وبين الفتى جيرالد أواصر صداقة وحب، فتستغيث الفتاة به من الرجل العابث، فيهجم عليه يريد أن يقتله فتمنعه الأم وتخبره بحقيقته، ويحاول الولد أن يقنع أمه بقبول الرجل زوجاً لها، فترفض رفضاً باتاً على الرغم من قبول اللورد لعرض ابنه. وتشجع الفتاة الأمريكية الأم على موقفها وتعرض عليها أن تشاطرها وخطيبها الفتى العيش بعيداً عن الأجواء اللندنية الفاسدة، في القارة الجديدة حيث يبدأون صفحة جديدة في حياتهم.

* * *

في هذه المسرحية يعرض وايلد أمامنا مجتمعين متناقضين: فثمة مجتمع فاسد سطحي، فقد القيم الخلقية، يمثله لورد إنجورث ولورد ألفرد وعدد من الشخصيات النسوية التي تتشابه شخصياتها بحيث لا تمكن التفرقة بين الواحدة والأخرى، ولكن يمكننا أن نرتبهن ترتيباً نزولياً من حيث تفاهتهن والحياة السطحية المنحلة التي يحيونها: مسز الونبي الفاجرة، ليدى هنستانتن التي تتخذ منزلها مكاناً للمسرحية، ليدى كارولين التي تعامل زوجها سيرجون الزوج الرابع وكأنه طفل تخشى عليه من البرد ومن الضياع،

وقد أدخلهن المؤلف على المسرحية ، ليعطينا فكرة عن عوامل الفساد فى هذا النوع من المجتمع ، وليستخدمهن أداة مسرحية تضفى على المسرحية عنصر الحركة . أما لورد دونبى رئيس شيوخ الكنيسة فرجل يدعو إلى الرثاء ولا يبدو أن له ثمة تأثيراً علي بيئة ليدى هنستانتن وكأنه لم يقم بزيارتها إلا ليحدثوه أو يحدثهم عن زوجته الصماء الضعيفة النظر .

أما المجتمع الآخر فمجتمع عاقل متزن يعارض نظريات المجتمع الأول ويفندها ، وتتزعمه مسز أربوثنط بطلة المسرحية وهستر الزائرة الأمريكية التى أحبت جيرالد وأعجبت بأمه ، ومستر كالفل عضو البرلمان ، وهى شخصيات تنتزع احترامنا وتقديرنا وتوحى لنا أن العالم لا يزال بخير ما دامت فيه نفوس مثل مسز أربوثنط المرأة التى خبرت قيمة الشرف ورفضت المال والجاه لتبعد ابنها عن بيئة أبيه الفاسدة ، وأضفت على جو المسرحية احتراماً اعترف لها به أعضاء الفريق الفاسد .

وليست هستر إلا صورة أخرى من راشيل أربوثنط ، صورة الفتاة القادمة من عالم جديد لم يدنس أو لم يكن قد دنس بعد بالأفكار التى سادت بيئة ليدى هنستانتن .

أما جيرالد فشخصية قائمة بذاتها ، فهو فتى حديث الخبرة بالحياة تغره أضواؤها وبهرجها ، وينخدع بكلام لورد النجورث وحججه ، على الرغم مما لاحظه فيها من أفكار سطحية . ولكنه ، على محبته لأمه وولائه لها ، يعلن رغبته فى اتباع الرجل وينعى على أمه وقوفها فى طريقه، فإذا ما انكشفت له الحقيقة ثارت ثائرته على أبيه يريد قتله . ويهديه فكره أخيراً ، وكأنه قد انقلب رجلا ناضجاً دفعة واحدة ، إلى ان يكتب لأبيه يطلب إليه أن يتزوج المرأة التى خدعها ، وضعاً للأمور فى نصابها ، ويبدو أن مسز أربوثنط ما زالت فيها بقية من عاطفة الماضي نحو الرجل الذى خدعها وكانت تتوقع أن يعبر لها ـ وهو يعرض عليها الزواج ، على الرغم من أنه ليس من هواته ـ عن عاطفة مثيلة ، ولكنها لم تعطه الفرصة ، وإن كان لورد إلنجورث فى نهاية الفصل الأول يعتبر مسز أربوثنط «امراة بلا أهمية» وهى شخصية غامضة لم تظهر بعد على المسرح ولا يعرف عنها شيء ، فهى تعده كذلك فى الفصل الأخير من المسرحية بعد أن عُرف كل شيء ، « رجلا بلا أهمية » ، وفى هذين القولين يجب أن يتركز تفكيرنا فى المغزى الأدبى لهذه المسرحية التى كان يمكن أن تسمى « امرأة عظيمة الأهمية »

المترجم

المراجع

André Gide : " Oscar Wilde " 1915

A. Ransome : " Oscar Wilde " . 1902

F. Harris : " Oscar Wilde , His Life and Confessions " (2 Vol.) N. Y· 1918

E. Bendz : " Oacar Wilde, A Retrospect ", Vienna, 1921

Francis Winwar : " Oscar Wilde and the yellow Nineties (1940)

Bernard Shaw : " Memoirs of Oscar Wilde ", 1918

Lord Alfred Douglas ; " Oscar Wilde and Myself " 1914

A. Symons : " Oscar Wilde , A Study ", London 1930

— " Prose of Oscar Wilde "

— Representative Modern Dramqs
(ed,) Charles Huntington Whitman .
Oscar . Wilde, P.P. 565 — 568

امرأة بلا أهمية

مسرحية من أربعة فصول

تاليف

أوسكار وايلد

كتبت سنة ١٨٩٣ ونشرت سنة ١٨٩٤ ومثلت على مسرح هيماركت Haymarket بلندن فى ١٩ أبريل سنة ١٨٩٣

* * *

الفصل الأول — شرفة منزل آل هنستانتن تشيس .
الفصل الثانى — غرفة الاستقبال فى منزل آل هنستانتن تشيس.
الفصل الثالث — بهو فى منزل آل هنستانتن تشيس .
الفصل الرابع — غرفة الجلوس بمنزل مسز أربوثنط فى روكلى
عصر المسرحية — الزمن الحاضر .
(تقع جميع أحداث هذه المسرحية خلال أربع وعشرين ساعة)

أشخاص التمثيلية

الرجال

لورد إلنجورث .
سيرجون بونتفراكت .
لورد ألفرد رفورد .
مستر كلفل (عضو البرلمان) .
رئيس شيوخ الكنيسة المحترم الدكتور دوبنى
جيرالد أربوثنط .
فاركار : رئيس الخدم .
فرنسيس : خادم .

السيدات

ليدى هنستانتن .
ليدى كارولين بونتفراكت .
ليدى ستتفيلد .
مسز ألونبى .
مس هستر ورزلى .
أليس : خادمة .
مسز أربوثنط .

امرأة بلا أهميـة

الفصل الأول

المشهد : أرض يغطيها العشب أمام الشرفة في منزل هنستانتن (سيرجون وليدى كارولين بونتفراكت ومس ورزلى جالسين على مقاعد تحت شجرة كبيرة من أشجار الأثل)

ليدى كارولين — أعتقد أن هذا هو أول منزل ريفى إنجليزى تنزلين فيه يامس ورزلى ؟

هستر — نعم ياليدى كارولين .

ليدى كارولين — بلغنى أنه لا توجد منازل ريفيـة فى أمريكا .

هستر — ليس لدينا الـكثير منها .

ليدى كارولين — هل عندكم ريف ، أقصد ما يمكن أن نسميه بالريف ؟

هستر — (تبتسم) لدينا أكبر ريف فى العالم يا ليدى كارولين ، فإنهم اعتادوا أن يقولوا لنا فى المدرسة إن مساحة بعض ولاياتنا تعادل مساحة انجلترا وفرنسا مجتمعتين .

ليدى كارولين — يخيل إلىّ أنكم لابد قد شعرتم بشدة تيار الهواء (لسيرجون) يجب أن تلتف بملحفتك ياجون . ما فائدة نسجى الملاحف لك دائماً إن كنت تحجم عن ارتدائها؟

سيرجون — أؤكد لك ياكارولين أنى أشعر بدفء تماماً .

ليدى كارولين — لاأظن ذلك ياجون، وعلى أية حال يامس ورزلى ما كان يمكنك أن تجدى مكاناً أكثر روعة من هذا بالرغم من شدة رطوبة المنزل رطوبة لا يمكن إغفالها ، وبالرغم من تساهل عزيزتنا ليدى هنستانتن أحياناً فى نوع الضيوف الذين تدعوهم للإقامة فيه (لسيرجون) إنجين تختلط كثيراً بالناس ولورد إلنجورث بطبيعة الحال له منزلة كبيرة، وإنه لامتياز عظيم أن يحظى الناس بمقابلته ... وعضو البرلمان ، مستر كتل ...!

سيرجون — اسمه كلفل يا حبيبتى ، كلفل .

ليدى كارولين — لابد أنه شخص محترم ، لم أسمع باسمه

أبداً طول حياتى ، وهذه مفخرة عظمى للإنسان في هذه الأيام ، ولكن مسز ألونبي ليست هى المرأة المناسبة .

هستر — إنى أكره ألونبي ... أكرهها بصورة لا يمكن التعبير عنها .

ليدى كارولين — لا أستطيع أن أجزم يامس ورزلى بأنه يحق لأجنبيات مثلك أن يوطنّ النفس على محبة أو كراهيـة مَنْ يُدعَون لمقابلتهن . إن مسز ألونبي سليلة بيت عريق ، فهى إحدى بنات أشقاء لورد برانكستر... نعم يقال طبعاً إنها هربت من منزل والديها مرتين قبل زواجها ، ولكنك تعامين أيضاً ما عليه الناس فى أحايين كثيرة من بُعْدٍ عن الإنصاف ، فأنا نفسى لا أعتقد أنها هربت أكثر من مرة واحدة .

هستر — ألا ترين أن مستر أربوثنط رجل ساحر ؟

ليدى كارولين — لعلك تقصدين الشاب الذى يشغل أحد المراكز فى المصرف ؟ إن ليدى هنستانتن تكرمت بدعوته إلى هذا المنزل ، ويبدو أن لورد إلنجورث أعجب به . على أنى لست واثقة من أن جين مصيبة فى إبعاده عن مركزه. فى حداثتى يامس ورزلى ، لم يكن أحد منا يقابل مطلقاً

فى المجتمع أناساً يعملون لـكسب قوتهم ، فلم يـكن هذا عملا مناسباً .

هستر — ولـكننا فى أمريكا نكن لهذا النوع من الناس أشد الاحترام .

ليدى كارولين — لا شك عندى فى ذلك .

هستر — إن مستر أربوثنط ذو طبع جميل ، فهو بسيط كل البساطة ، صريح كل الصراحة،وكل صفاته من أجمل الصفات التى عرفتها . وإنه لامتياز عظيم أن يحظى الإنسان بمقابلته .

ليدى كارولين — ليس من المألوف فى إنجلترا يامس ورزلى أن تتحدث السيدة عن شخص من الجنس الآخر بكل هذه الحماسة ... والإنجليزيات يخفين مشاعرهن إلى ما بعد الزواج ثم يظهرنها بعد ذلك .

هستر — ألا تسمحون فى إنجلترا بقيام صداقة بين فتى وفتاة ؟

(وهنـا تدخل ليدى هنستانتن يتبعهـا خادم يحمـل ملاحف ووسائد) .

ليدى كارولين — نراه أمراً مستهجناً جداً . كنت ياجين

من لحظة أقول : ما أظرف القوم الذين دعيتنا للاجتماع بهم . إن لك مقدرة عجيبة فى الاختيار ، وإنها لموهبة .

ليدى هنستانتن — لطيف منك أن تقولى ذلك أيتها العزيزة كارولين. أعتقد أننا ننسجم انسجاماً جميلا معاً، وأرجو أن تحمل ضيفتنا الأمريكية الساحرة معها ذكريات جميلة عن حياتنا الريفية فى انجلترا . (إلى الخادم) ضع الوسائد هناك يا فرنسيس ، ناولنى ملحفتى ، الملحفة المصنوعة من صوف شتلند . . . ملحفة شتلند (يخرج الخادم ليحضر الملحفة) .

(يدخل جيرالد أربوتنط)

جيرالد — لدى أنباء طيبة لك يا ليدى هنستانتن . لقد عرض علىّ لورد إلنجورث أن أكون سكرتيره .

ليدى هنستانتن — سكرتيره ؟ هـذا نبأ طيب حقيقةً ياجيرالد ، فهو يعنى أن الغد يخبىء لك مستقبلاً باهراً ، وسوف تبتهج لهذا والدتك العزيزة . يجب علىّ فعلاً أن أحاول إقناعها بالمجىء لزيارتنا هذه الليلة . أتظنها تستجيب يا جيرالد ؟ إنى أعرف أنه من الصعب إقناعها بالذهاب إلى أى مكان .

جيرالد — أنا واثق من أنها سوف تحضر يا ليدى هنستانتن،

إنْ هى عرفت بما عرضه علىّ لورد إلنجورث (يدخل الخادم بالملحفـــة)

ليدى هنستانتن — سأكتب إليها فى الموضوع، وأدعوها للحضور لمقابلته (للخــادم) انتظر قليلا يا فرنسيس (تــكتب الخطــاب)

ليدى كارولين — إنها لبداية باهرة لشاب صغير مثلك يا مستر أربوثنط .

جيرالد — إنها لــكذلك يا ليدى كارولين ، وأنا واثق من أنى سوف أكون قادراً على إظهار جدارتى للمنصب .

ليدى كارولين — وأنا واثقة من ذلك أيضاً .

جيرالد — (إلى هستر) إنك لم تهنئينى بعد يا مس ورزلى.

هستر — أأنت مسرور بهذه الوظيفة ؟

جيرالد — بالطبع ، إنها تحقق الشىء الـكثير لى ، فالأشياء التى لم يكن لى أمل فى الحصول عليها فى الماضى ستصبح الآن فى متناولى .

هستر — لا يجب أن يــكون ثمة شىء يقف دونه الأمل . . . فالحياة أمل .

ليدى هنستانتن — يخيل إلى يا كارولين أن السلك السياسى هو ما يصبو إليه لورد إلنجورث . لقد وصل إلى سمعى أنه عرضت عليه سفارة فى فينا ، ولكن قد لا يكون الخبر صحيحاً .

ليدى كارولين — أرى ياجين أنه لايجب أن يمثل انجلترا فى الخارج رجل غير متزوج ، فقد يؤدى ذلك إلى مشكلات.

ليدى هنستانتن — إنك حيية أكثر مما ينبغى يا كارولين . صدقينى أنك حيية أكثر من اللازم ، زيدى على ذلك أن لورد إلنجورث قد يتزوج فى أى وقت . كان الأمل يحدونى فى وقت من الأوقات أنه سيتزوج ليدى كلزو ، ولكنى أظن أنه شكا من كِبَر أسرتها ، أولعله شكا من كبر قدميها . لقد نسيت من أيهما اشتكى ، ويؤسفنى ذلك جداً ، لأنها نشأت لتكون زوجة سفير .

ليدى كارولين — لا شك فى أن لديها موهبة عجيبة فى تذكر أسماء الأشخاص ونسيان وجوههم .

ليدى هنستانتن — هذا الأمر طبيعى يا كارولين ، أليس كذلك ؟

(للخادم) قل لهنری أن ينتظر جواباً . لقد سطرت كلمة لوالدتك العزيزة يا جيرالد ، أنبأتها فيها بعملك الجديد ، وبضرورة مجيئها لتناول العشاء معنا (ينصرف الخادم) .

جيرالد — هذا كرم عظيم منك يا ليدى هنستانتن (إلى هستر) ألك في جولة معي يا مس ورزلى ؟

هستر — يسرنى ذلك (تخرج مع جيرالد) .

ليدى هنستانتن — إنى راضية تمام الرضا للحظ الحسن الذى واتى جيرالد أربوثنط وهو تحت حمايتى ، وإنى لمسرورة من أن لورد إلنجورث قد عرض عليه المنصب من تلقاء نفسه دون أية إشارة منى ، ذلك أن الإنسان عزوف عن طلب منّة من الغير . وأذكر الآن شارلوت باجدن فقد جرّت المسكينة كراهية الناس لها فى وقت من الأوقات لأنها كانت تمتدح مربية فرنسية عملت عندها ، وتعرضها عليهم .

ليدى كارولين — لقد رأيت تلك المربية يا جين ، أرسلتها لى ليدى باجدن ، وكان ذلك قبل ترك إليانور خدمتى . وكانت على درجة كبيرة من الجمال بحيث لا يمكن لأى بيت محترم أن يحتويها ، فلا عجب إذا تلهفت ليدى باجدن على التخلص منها .

ليدى هنستانتن — هذا يفسر الأمر .

ليدى كارولين — فى العشب يا جون رطوبة لا تتحملها ، فيجدر بك أن تذهب لتلبس خفى حذاءيك فى الحال .

سير جون — أؤكد لك يا كارولين أنى مستريح جداً .

ليدى كارولين — يجب أن تسمح لى أن أكون الحَـكَمَ فى الأمر ، وأرجوك أن تفعل ما طلبت إليك (يصعد السير جون ويتوارى عن الأنظار) .

ليدى هنستانتن — إنك تفسدينه يا كارولين ، تفسدينه بكل تأكيد (تدخل مسز ألونبى وليدى ستتفيلد)

(لمسز ألونبى) أرجو يا عزيزتى ، أن يروقك المتنزه . الذى يقال إن به أشجاراً كثيرة .

مسز ألونبى — أشجاره رائعة ياليدى هنستانتن .

ليدى ستتفيلد — رائعة جداً ... جداً .

مسز ألونبى — ولـكنى أشعر شعور الواثقة بأنى لو سكنت الريف ستة أشهر فقدت سفسطائيتى ولم يعد أحد يعيرنى أى انتباه .

ليدى هنستانتن — أؤكد لك يا عزيزتى أن الريف

لا يُحْدث هـذا الأثر مطلقاً ، فليدى بلتن فرّت مع لورد فيذرزديل من ملثورب التى لا تبعد عنا أكثر من ميلين . وما زلت أذكر هذا الحادث تماماً ، وتوفى لورد بلتن المسكين بعد ذلك الحادث بثلاثة أيام ، مات من الفرح أو من داء النقرس ، لقد نسيت من أيهما . وكان فى بيتنا فى ذلك الوقت عدد كبير من الضيوف ، فكان هذا الحادث تسلية كبيرة لنا .

مسز ألونبى — أعتقد أنه من الجبن أن تهرب المرأة مع رجل . إنه هروب من الخطر . . . والخطر أصبح نادراً جداً فى هذا العصر الحديث .

ليدى كارولين — يبدو ، على قدر ما وصل إليه فهمى ، أن نساء هذه الأيام وطنّ النفس على أن يجعلن من اللعب بالنار غاية حياتهن .

مسز ألونبى — الميزة الوحيدة للعب بالنار يا ليدى كارولين هى أن الإنسان لن يكتوى بها ... إن الذين تحرقهم النار هم أولئك الذين لا يعرفون كيف يلعبون بها .

ليدى ستتفيلد — نعم ، وهذا واضح لى ، بل إنه مفيد ، مفيد جداً .

ليدى هنستانتن — لست أدرى كيف يتواتى للعالم أن يسير بهدى نظرية كهذه يا عزيزتى مسز ألونبى .

ليدى ستتفيلد — كيف ؟ إن العالم جُعِل للرجال وليس للنساء .

مسز ألونبى — لا تقولى هذا القول يا ليدى ستتفيلد . إن لنا من فرص التمتع أكثر مما لهم ، ذلك لأن لنا من الأشياء المحرمة علينا أكثر مما لهم .

ليدى ستتفيلد — نعم ، إنها الحقيقة وقد كان هذا غائباً عن تفكيرى .

(يدخل سير جون ومستر كلفل) .

ليدى هنستانتن — والآن يا مستر كلفل ، هل انتهيت من عملك ؟

كلفل — انتهيت من كتابة الجزء المعين علىّ لهذا اليوم يا ليدى هنستانتن ، وكان عملا شاقاً .:. فإن المطالب التى تستغرق كل وقت الموظف العام فى هذه الأيام ثقيلة ، ثقيلة جداً . ولا أعتقد أنها تُقَابَلُ بالتقدير الكافى .

ليدى كارولين — هل لبست خفى حذاءيك ، يا جون ؟

سير جون — نعم يا حبيبتى .

ليدى كارولين — أظن أنه يحسن أن تنتقل إلى هنا بعيداً عن تيار الهواء .

سير جون — إنى مستريح جداً هنا يا كارولين .

ليدى كارولين — لا أظن يا جون . يحسن أن تجلس بجانبى (يقف جون ويقطع الحجرة إلى الجانب الآخر) .

ليدى ستتفيلد — وفى أى موضوع كنت تكتب هذا الصباح يا مستر كلفل ؟

كلفل — إنه الموضوع الوحيد الذى له أهمية وطنية فى هذه الأيام ، يا ليدى ستتفيلد . إنى أنوى مخاطبة أبناء دائرتى الانتخابية قبل اجتماع البرلمان ، فإنى أجد أن الطبقات الفقيرة فى هذا البلد تبدى رغبة واضحة فى الوصول إلى مستوى أخلاقى أفضل .

ليدى ستتفيلد — كم هو جميل منهم أن يرغبوا فى ذلك !

ليدى كارولين — هل أنت من أنصار اشتغال المرأة بالسياسة يامستر كتلى ؟

سيرجون — كلفل يا حبيبتى . . . كلفل .

كلفل — نفوذ المرأة المتزايد هو الضمان الوحيد فى حياتنا السياسية يامس كارولين . فالنساء دائماً فى صف الأخلاق والمبادئ ، عامةً كانت أم خاصةً .

ليدى ستتفيلد — إنه لمن الممتع للنفس جداً أن أسمعك تقول ذلك .

ليدى هنستانتن — نعم !... الصفات الأخلاقية للمرأة ... هذا هو الشيء الهام . أخشى ، يا كارولين ، أن يكون لورد إلنجورث غير مقدرٍ للصفات الأخلاقية فى المرأة حق قدرها.

(يدخل لورد إلنجورث)

ليدى ستتفيلد — يقول العالم إن لورد إلنجورث رجل شرير جداً .

لورد إلنجورث — ولكن أى عالم يقول ذلك ياليدى ستتفيلد؟ لا بد أنه العالم الآتى . فإنى أنا وهذا العالم على وفاق تام. (يجلس بجانب ليدى ألونبى) .

ليدى ستتفيلد — كل الذين أعرفهم يقولون إنك شرير ممعن فى الشر .

لورد إلنجورث — إنه لأمر مرعب تماماً ، تلك الطريقة التى درج عليها الناس فى هذه الأيام ، فهم حين ينتقدون الآخرين يطرحونهم وراء ظهورهم فى أمور يصيبون فيها كبد الحقيقة .

ليدى هنستانتن — عزيزنا لورد إلنجورث لا يرجى منه شفاء يا ليدى ستتفيلد . لقد كففت عن محاولاتى لإصلاحه ، إن ذلك يقتضى وجود شركة عامة لها مجلس إدارة وسكرتير يتقاضى مرتباً ، للقيام بهذه المهمة . ولـكن لديك السكرتير فعلاً يالورد إلنجورث ، أليس كذلك ؟ لقـد أخبرنا جيرالد بالحظ الذى واتاه ، وإنه لعمل كريم جداً منك .

لورد إلنجورث — أرجو ألا تقولى ذلك ياليـــدى هنستانتن . إن كلمة « كريم » مخيفة ، وكل ما فى الأمر أن الشاب أربوثنط راق لى فى اللحظة التى وقع عليه نظرى فيها ، وسوف يكون ذا فائدة كبيرة لى فى أمرٍ أنا من الحمق بحيث أعتزم القيام به .

ليدى هنستانتن — إنه شاب جدير بالإعجاب . وأمه من أعز صديقاتى . لقد خرج من لحظة ، هو وأمريكيتنا الحسناء ليتمشيا ، وهى جميلة ، أليس كذلك ؟

ليدى كارولين — إنها رائعة الحسن أكثر مما يجب ، هؤلاء الفتيات الأمريكيات يختطفن جميع الأزواج اللائقين ، لماذا لا يمكثن فى بلادهن ، وهن يتحدثن عنها على أنها فردوس النساء ؟

لورد إلنجورث — إن بلادها هكذا فعلا يا ليدى كارولين ، ولهذا — وهن على شاكلة حواء — نراهن مشغوفات أشد الشغف بالخروج منها .

ليدى كارولين — من هما والدا مس ورزلى ؟

لورد إلنجورث — الأمريكيات بارعات فى إخفاء حقيقة والديهن .

ليدى هنستانتن — ماذا تعنى بذلك ياعزيزى لورد إلنجورث؟ إن مس وارزلى يتيمة الأبوين يا كارولين . كان أبوها من أصحاب الملايين الأغنياء أو من عظماء المحسنين ، أو لعله كان كليهما معاً كما أعتقد ، وقد أكرم ابنى عند ما ذهب إلى بوسطن . ولا أدرى كيف جمع ثروته .

كلفل — أظنه جمعها من البضائع الأمريكية الجافة .

ليدى هنستانتن — وماهى هذه البضائع الأمريكية الجافة ؟

لورد إلنجورث — القصص الأمريكية .

ليدى هنستانتن — شيء فريد ! على أنه مهما يكن مصدر ثروة مس ورزلى ، فإنى أكنّ لها عظيم التقدير ، فهى تلبس ثياباً غاية فى الأناقة ، وجميع الأمريكان يتأنقون فى ملبسهم لأنهم يستوردون ملابسهم من باريس .

مسز ألونبى — يقول الناس باليدى هنستانتن إن خيار الأمريكيين يذهبون إلى باريس عندما يموتون ؛

ليدى هنستانتن — حقاً ؟ وأين يذهب أشرار الأمريكان عند ما يموتون ؟

لورد إلنجورث — إلى أمريكا طبعاً .

كافل — أخشى ألاّ تكون مقدِّراً أمريكا حق قدرها يالورد إلنجورث . . . إنها بلاد عظيمة ، ولا سيما إذا أخذنا شبابها بعين الاعتبار .

لورد إلنجورث — شباب أمريكا هم أعرق تقاليد فى تلك البلاد ، وهذا هو الشأن منذ ثلثمائة عام ، فإذا سمعتهم يتكلمون خيل إليك أنهم لم يخرجوا بعد من طور الطفولة الأول . أما من حيث المدنية ، فهم فى طور الطفولة الثانى .

كلفل — لاشك فى أن فى السياسة الأمريكيـة كثيراً من الفساد ... لعلك تشير إلى هذا الأمر ؟

لورد إلنجورث — قد يكون .

ليدى هنستانتن — يقال إن السياسة فى حال سيئة فى كل مكان وإنها لـكذلك فى انجلترا بكل تأكيد ، وها هو ذا عزيزنا مستر كارديويسير بالبلاد إلى الخراب ، وأعجب كيف تتركه زوجته يفعل ذلك . أنا واثقة يالورد إلنجورث من أنك لاترى منح حق التصويت للطبقات غير المتعلمة من الشعب .

لورد إلنجورث — أرى أن هـذا الحق يجب أن يمنح للمتعلمين من الناس وحـدهم .

كلفل — إذن أنت لاتقف إلى جانب فـريق معين من رجال السياسة ، يالورد إلنجورث !

لورد إلنجورث — لا يجب على الإنسان أن يتخذ موقفاً معيناً فى أى شىء يامستر كلفل ، فإن الوقوف فى صف جانب معين هو بداية الإخلاص، ثم تتبع ذلك مباشرة الجدية، وعندئذ يصبح الـكائن البشرى مملاً ، على أن مجلس العموم لايصدر

عنه ضرر بليغ ، وإنك لا تستطيع أن تصلح الناس بقانون يصدره البرلمان ، وهذا شيء له قيمته .

كلفل — لا يمكنك أن تنكر أن مجلس العموم أظهر دائماً عطفاً كبيراً على الفقراء فى آلامهم .

لورد إلنجورث — وهذه سيئته الخاصة ، وسيئة العصر الخاصة ، على المرء أن يعطف على الفرح والجمال ومباهج الحياة وكلما قل كلامنا عن جراح الحياة كان ذلك أفضل يامستر كلفل .

كلفل — مازال حى إيست اند مشكلة هامة جداً .

لوردإلنجورث — إنك على حق ، مشكلة الرقيق ، وها نحن نحاول حلها بالترفيه عن العبيد .

ليدى هنستانتن — يمكننا بلاشك عمل الكثير عن طريق التسليات الرخيصة كما تقول يا لورد إلنجورث ، وها هو ذا الدكتور دوبنى رئيسنا الدينى العزيز يعد بمساعدة قساوسته بوسائل جديرة بالإعجاب للترفيه عن الفقراء خلال الشتاء ، ويمكن أن ينجز الكثير من الأعمال الطيبة بمساعدة المصباح السحرى أو المرسلين الدينيين أو عن طريق تسليات من هذا النوع .

ليدى كارولين — لا أوافق أبداً على توفير الملاهى للفقراء يا جين ، إذ يكفى أن نمدهم بالبطاطين والمعاطف ، أما الرغبة فى اللهو فمتوافرة بين الطبقات الراقية ، والصحة هى ما نحتاج إليه فى حياتنا العصرية ، وهذه النغمة خطرة ، خطرة جداً .

كلفل — إنك على حق ، يا ليدى كارولين .

ليدى كارولين — أعتقد أنى على حق عادة .

مسز ألونبى — « الصحة » إنها كلمة مرعبة .

لورد إلنجورث — إنها أسخف كلمة فى لغتنا ، وإنا لنعرف جيداً الفكرة الشائعة عن الصحة . إنها صورة النبيل الإنجليزى ساكن الريف وهو يركض وراء الثعلب!!..

كلفل — أيمكننى أن أسألك يا لورد إلنجورث هل تعدّ مجلس اللوردات منظمة أفضل من مجلس العموم ؟

لورد إلنجورث — أفضل منه بكثير طبعاً ، فنحن فى مجلس اللوردات لا نتصل بالرأى العام أبداً ، وهذا يضعنا فى مصاف الهيئات المتحضرة .

كلفل — هل أنت جاد فى التصريح بهذا الرأى ؟

لورد إلنجورث — جاد جداً يا مستر كلفل (لمسز ألونبي) إنها لعادة مبتذلة عند الناس فى هذه الأيام بأن يسأل المرء بعد أن أدلى برأيه ، هل هو جاد فيه أم لا ، ليس من جد سوى العاطفة ، فالعقل ليس بالشيء الجدى ، ولن يكونه ، إنه آلة نعزف عليها وهذا كل ما فى الأمر . والشكل الجدى الوحيد الذى أعرفه للعقل هو العقل البريطانى ، وعلى هذا العقل البريطانى يدق الأميون طبولهم .

ليدى هنستانتن ماذا تقول عن الطبول يا لورد إلنجورث؟

لورد إلنجورث — كنت إنما أتحدث إلى مسز ألونبى عن المقالات الافتتاحية فى صحف لندن .

ليدى هنستانتن — أو تصدق كل ما تكتبه الصحف ؟

لورد إلنجورث — نعم . إذ ما يجرى فى البلد هذه الأيام هو الشيء الذى لا تمكن قرءاته (ينهض هو ومسز ألونبى)

ليدى هنستانتن — هل أنت ذاهبة يا مسز ألونبى ؟

مسز ألونبى — سأذهب إلى بيت الزهور فحسب ، فقد أخبرنى لورد إلنجورث هذا الصباح بأن هناك شجرة أوركيد يعادل جمالها جمال الخطايا المميتة السبع .

ليدى هنستانتن — أرجو يا عزيزتى ألا يوجد شىء من هذا . سأكلم البستانى بكل تأكيد (تخرج مسز ألونبى ولورد إلنجورث) .

ليدى كارولين — صنف عجيب ، مسز ألونبى هذه !

ليدى هنستانتن — إنها تطلق العنان أحياناً لاسانها الحاذق فينطلق معها .

ليدى كارولين — هل هو الشىء الوحيد الذى تجعله مسز ألونبى ينطلق معها ، يا جين؟

ليدى هنستانتن — أرجو ذلك يا كارولين . أرجو ذلك . (يدخل لورد ألفرد) هلا انضممت إلينا يا عزيزنا لورد ألفرد؟ (يجلس لورد ألفرد إلى جانب ليدى ستتفيلد)

ليدى كارولين — إنك يا جين حسنة الظن بجميع الناس وهذا خطأ جسيم !

ليدى ستتفيلد — هل تظنين حقيقة يا ليدى كارولين ، أنه يجب على الإنسان أن يسىء الظن بالناس جميعاً ؟

ليدى كارولين — أظن ذلك أسلم جداً يا ليدى ستتفيلد

إلى أن تنكشف لنا طبائع الناس و نتحقق من أنهم طيبون ، ولكن هذا يتطلب كثيراً من البحث فى هذه الأيام .

ليدى ستتفيلد — لكن حياتنا العصرية ملأى بالفضائح القاسية .

ليدى كارولين — لقد قال لى لورد إلنجورث مساء أمس ونحن على مائدة العشاء إن وراء كل فضيحة حقيقة فاسدة مؤكدة .

كلفل — لورد إلنجورث رجل ذكى جداً بلا شك ، ولكنه يبدو لى مفتقراً إلى الإيمان بما فى الحياة من نبل وطهارة ، الإيمان الرائع العظيم الأهمية فى هذا العصر .

ليدى ستتفيلد — نعم عظيم الأهمية حقاً . أليس كذلك ؟

كلفل — إنه يبدو لى رجلا لا يقدر جمال الحياة البيتية الإنجليزية ، وأريد أن أقول إن تفكيره فى هذا الموضوع اصطبغ بالآراء الأجنبية .

ليدى ستتفيلد — ليس هناك شىء يعادل جمال الحياة البيتية . أليس كذلك ؟

كلفل — إنها يا ليدى ستتفيلد كيان النظام الأخلاقى فى انجلترا ، ولولا هذه الحياة البيتية لأصبحنا كجيراننا .

ليدى ستتفيلد — ومن المحزن جداً أن نصبح مثلهم ، أليس كذلك ؟

كلفل — وأخشى أيضاً أن تكون المرأة فى نظره مجرد لعبة ، أما أنا فلا أنظر إليها على أنها لعبة أبداً ، فالمرأة هى المعين الذهنى للرجل فى الحياة العامة ، كما هى فى الحياة الخاصة ، ولولاها لنسينا المبادئ الحقة (يجلس إلى جانب ليدى ستتفيلد)

ليدى ستتفيلد — يسرنى سروراً بالغاً أن أسمعك تقول هذا .

ليدى كارولين — هل أنت متزوج يامستر كتل ؟

سير جون — كلفل ، يا عزيزتى ، كلفل .

كلفل — إنى متزوج يا ليدى كارولين .

ليدى كارولين — وهل لك أولاد ؟

كلفل — نعم .

ليدى كارولين — كم عددهم ؟

كلفل — ثمانيـة (توجه ليـدى ستتفيـلد انتباهها إلى لورد ألفرد) .

ليدى كارولين — أظن أن مسز كتل والأطفال يصطافون على شاطىء البحر ؟ (سيرجون يهز كتفيه)

كلفل — زوجتى والأطفال فعلا على شاطىء البحر ياليدى كارولين .

ليدى كارولين — لا شك أنك ستلحق بهم فيما بعد ؟

كلفل — إذا سمحت لى ارتباطاتى بالجمهور .

ليدى كارولين — لابد أن حياتك العامة مصدر سرور كبير لزوجتك يا مستر كتل .

سير جون — كلفل يا حبيبتى ، كلفل !

ليدى ستتفيلد — (اللورد ألفرد) هذه السجائر ذات الطرف الذهبى التى تدخنها رائعة ، رائعة جداً يا لورد ألفرد .

لورد ألفرد — إنها باهظة الثمن جداً ، ولهذا لا أستطيع شراءها إلا عند ما أكون مديناً .

ليدى ستتفيلد — إنه لأمر مرهق ، مرهق حقاً أن يكون الإنسان مديناً .

لورد ألفرد — يجب على الإنسان فى هـذه الأيام أن يكون لديه ما يشغله ، فلولا ديونى هذه لما وجدت شيئاً أفـكر فيه . إن جميع الشبان الذين أعرفهم واقعون فى الدين .

ليدى ستتفيلد — ولـكن ألا يسبب لك دائنوك مضايقات شديدة ؟ ؟ (يدخل الخادم) .

لورد ألفرد — لا . . . أبدا ! إنهم يكتبون إلى، فلا أكتب!

ليدى ستتفيلد — إنه لأمر غريب جداً !

ليدى هنستانتن — ها قد وصلتنى رسالة من عزيزتنا مسز أربوثنط يا كارولين ، ويؤسفنى أنها لن تتناول الغداء معنا ، ولـكنها ستوافينـا فى المساء ، وإنى لمغتبطة بذلك فهى من أرق النساء . ولها خط جميل ، وكتابتها كبيرة غير مهتزة (تناول ليدى كارولين الخطاب)

ليدى كارولين — (تنظر إلى الخطاب) إنه تنقصه الأنوثة ياجين، والأنوثة هى الصفة التى أعجب بها فى المرأة أكثر من غيرها.

ليدى هنستانتن — (تسترد الخطاب وتتركه على النضد)

عجباً يا كارولين ، إنها كلها أنوثة وطيبة أيضاً ، وددت لو سمعت ما يقوله رئيس الأساقفة عنها ، فهو يعتبرها ذراعه الأيمن فى الأبروشية (بوجه إليها الخادم كلاما) فى قاعة الاستقبال الصفراء . هل تتكرمون بالانتقال إليها ؟ هيا بنا للشاى ياليدى ستتفيلد.

ليدى ستتفيلد — بكل سرور ياليدى هنستانتن (ينهضون ويشرعون فى الخروج ، ويتقدم سيرجون ليحمل معطف ليدى ستتفيلد)

ليدى كارولين — جون ! إذا تركت ابن أخيك يهتم بمعطف ليدى ستتفيلد ، أمكنك أن تحمل لى سلة تطريزى (يدخل لورد إلنجورث ومسز ألونبى) .

سيرجون — بكل تأكيد ياحبيبتى (يخرجون)

مسز ألونبى — أمر غريب أن تغار النساء غير الجميلات على أزواجهن بينما الجميلات لا يغرن أبداً .

لورد إلنجورث — ليس لدى الجميلات وقت قط للغيرة على أزواجهن ، لأنهن دائماً مشغولات بالغيرة على أزواج غيرهن من النساء .

مسز ألونبى — كنت أظن أن ليدى كارولين قد آن لها أن تملّ القلق والاهتمام بالزوج ، وسيرجون زوجها الرابع .

لورد إلنجورث — لاشك فى أن تكرار الزواج عمل غير لائق . إن عشرين عاماً من الحب تجعل المرأة تبدو طللا من الأطلال . أما عشرون سنة من الزواج فتجعلها تبدو أشبه ببناء عام .

مسز ألونبى — عشرون سنة من الحب ! هل هناك شىء كهذا ؟

لورد إلنجورث — ليس فى أيامنا هذه . لقد أصبحت النساء نابهات أكثر مما يجب ، ولا يفسد الحب أكثر من روح التندر فى المرأة .

مسز ألونبى — أو انعدامها فى الرجل !

لورد إلنجورث — أنت محقة جداً فى هذا ، ففى كل معبد من المعابد يجب أن يكون الجميع جادين إلا المعبود .

مسز ألونبى — أو لعل المعبود هو الرجل ؟

لورد إلنجورث — النساء يركعن فى رقة ، أما الرجال فلا يتقنون الركوع .

مسز ألونبى — إنك تعنى ليدى ستنفيلد !

لورد إلنجورث — أؤكد لك أننى لم أفكر فى ليدى ستنفيلد ربع الساعة الأخير هذا !

مسز ألونبى — أهى غامضة إلى هذا الحد ؟

لورد إلنجورث — إنها أكثر من سر غامض ، إنها حالة نفسية .

مسز ألونبى — الحالات النفسية لا تدوم طويلا .

لورد إلنجورث — وفى هذا سحرها الرئيسى (تدخل هستر وجيرالد)

جيرالد — الجميع يهنئوننى يا لورد إلنجورث : ليدى هنستانتن وليدى كارولين و... الجميع . أرجو أن أوفق كسكرتير لك .

لورد إلنجورث — ستكون سكرتيراً مثالياً يا جيرالد.

(يتبادلان الحديث)

مسز ألونبى — أتعجبك حياة الريف يامس ورزلى ؟

هستر — أحبها جداً بالتأكيد .

مسز ألونبى — ألا تشعرين بالحنين إلى حفلات العشاء بلندن؟

هستر — إنى أكره حفلات عشاء لندن .

مسز ألونبى — أما أنا فأهيم بها . ذلك أن أذكياء القوم فيها قلما ينصتون إلى ما يقال ، وأغبياؤهم لا يتحدثون أبداً .

هستر — أظن الأغبياء يتحدثون كثيراً .

مسز ألونبى — وأنا لا أنصت أبداً .

لورد إلنجورث — لو لم أحبك يا بنى العزيز لما عرضت عليك المنصب ، أما وإنى أحبك هذا الحب كله فقد أردت أن تكون معى (تخرج هستر ومعها جيرالد) فتى ظريف جيرالد أربوثنط هذا !

مسز ألونبى — إنه ظريف غاية فى الظرف . أما هذه المرأة الأمريكية فلا أطيقها .

لورد إلنجورث — وما السبب ؟

مسز ألونبى — أخبرتنى أمس وبصوت عال تقريباً أنها فى الثامنة عشرة فحسب ، فتضايقت من ذلك جداً .

لورد إلنجورث — لا يجب على المرء أن يثق بامرأة تفصح عن حقيقة سنها ، ذلك أن المرأة التى تصرح بهذا قد تصرح بأى شىء آخر .

مسز ألونبي — فضلا عن أنها متزمتة فى الدين.

لورد إلنجورث — هذا مالا نجد لها عذراً فيه. إننى لا تهمنى المرأة العادية الجمال إذا كانت متزمتة ، فافتقارها إلى الجمال هو عذرها فى تزمتها . أما هستر فإنها قطعاً جميلة وأنا أعجب بها كثيراً (لا يحول ناظريه عن مسز ألونبى)

مسز ألونبى — يالك من رجل شرير للغاية !

لورد إلنجورث — وما هو تعريفك للرجل الشرير ؟

مسز ألونبى — هو ذلك الرجل الذى يعجب بالبراءة .

لورد إلنجورث — ومن هى المرأة الشريرة ؟

مسز ألونبى — هى تلك المرأة التى لا يملها الرجل قط .

لورد إلنجورث — أنت قاسية على نفسك .

مسز ألونبى — حدد تعريفك للمرأة بوصفها أنثى .

لورد إلنجورث — إنها مثل أبى الهول إذا خلا من الأسرار .

مسز ألونبى — أهذا التعريف يشمل النساء المتزمتات ؟

لورد إلنجورث — أتعلمين أنى لا أعتقد بوجود نساء متزمتات ؟ لا أظن أن امرأة فى العالم لا يتملكها شىء

من الابتهاج إذا صارحها رجل بحبه ، فهذا ما يجعلنا نهيم بالنساء هياما لا تمكن مقاومته .

مسز ألونبي — هل تظن أنه لا توجد فى العالم المرأة التى تعارض فى أن يقبلها الرجل ؟

لورد إلنجورث — إنها من نوع قليل العدد جداً .

مسز ألونبي — مس ورزلى لن تسمح لك بتقبيلها .

لورد إلنجورث — هل أنت متأكدة ؟

مسز ألونبي — تماماً !

لورد إلنجورث — وماذا تخالينها فاعلة إن أنا قبلتها .

مسز ألونبي — إما أن تتزوجك أو تصفعك بقفازها ، وماذا تفعل إن لطمت وجهك بقفازها ؟

لورد إلنجورث — أرجح أنى أهيم بها حباً .

مسز ألونبي — إذن فمن حسن الحظ أنك لن تقبلها !

لورد إلنجورث — أتتحدينني بذلك ؟

مسز ألونبي — إنه سهم أرسلته فى الهواء .

لورد إلنجورث — ألا تعلمين أنى أنجح دائماً فى كل شيء أحاوله ؟

مسز ألونبى — يؤسفنى سماع ذلك . نحن النساء نعشق الفاشلين ، فهم يستندون إلينا .

لورد إلنجورث — إنكن تعشقن الناجحين وتلتصقن بهم .

مسز ألونبى — إننا أكاليل النار تخفى صلعة النجاح .

لورد إلنجورث — الناجحون فى حاجة إليكن دائماً إلا فى لحظة الانتصار .

مسز ألونبى — لا تكون لهم عندئذ لذة .

لورد إلنجورث — ما أشد جاذبيتك (فترة سكون) .

مسز ألونبى — هناك شىء واحد يا لورد إلنجورث سوف أحبك دائماً من أجله .

لورد إلنجورث — شىء واحد فقط هو أن لى صفات سيئة كثيرة .

مسز ألونبى — لا تكن مغروراً بها ، فقد تفقدها كلما تقدم بك العمر .

لورد إلنجورث — ليس فى نيتى قط أن أكبر سناً ، فالروح تولد فى شيخوخة ، ولكنها تزيد شباباً مع الزمن ، وهذه هى مهزلة الحياة .

مسز ألونبى — والجسم يولد صغيراً ولكنه يشيخ مع الزمن ، وهذه هى مأساة الحياة .

لورد إلنجورث — بل إنها مهزلتها أحياناً ، ولكن ما هو هذا السبب الغامض الذى ستداومين لأجله على حبى ؟

مسز ألونبى — هو أنك لم تتعلق بى وتصارحنى بحبك

لورد إلنجورث — ما فعلت سوى ذلك .

مسز ألونبى — أتقول حقاً ؟ ولكنى لم ألاحظه .

لورد إلنجورث — هذا من حسن الحظ ، وإلا كان فيه مأساة لكلينا .

مسز ألونبى — ولبقينا كلانا على قيد الحياة بعدها .

لورد إلنجورث — يستطيع الإنسان فى هذه الأيام أن يبقى حياً بعد كل حادث يقع له إلا الموت ، وأن يمحو بحياته كل شيء إلا السمعة الطيبة .

مسز ألونبى — هل جربت السمعة الطيبة ؟

لورد إلنجورث — إنها إحدى المضايقات الكثيرة التى لم أقع تحت طائلتها .

مسز ألونبى — قد توافيك .

لورد إلنجورث — لم تهددينى ؟

مسز ألونبى — سأخبرك بعد أن تقبل صاحبتنا المتزمتة

(يدخل الخادم)

فرنسيس — قد أعد الشاى ياسيدى فى قاعة الاستقبال الصفراء .

لورد إلنجورث — قل للسيدة إننا قادمون .

فرنسيس — نعم ياسيدى اللورد (يخرج)

لورد إلنجورث — هل نذهب لتناول الشاى ؟

مسز ألونبى — أتحب أمثال هذه المتع البسيطة ؟

لورد إلنجورث — إنى أعشق المتع الصغيرة ، إنها آخر ما يلجأ إليه الإنسان من الأمور المعقدة ، ولكن لنبق هنا إذا رغبت فى ذلك . نعم دعينا نبقى هنا . إن سفر الحياة يبدأ برجل وإمرأة فى حديقة[1] .

---

(١) إشارة إلى آدم وحواء فى الفردوس وقد وردت القصة فى سفر التكوين أول أسفار التوراة .

مسز ألونبى — وينتهى بالرؤى[1]

لورد إلنجورث — إنك تحسنين المبارزة ، ولكن الكرة سقطت من سنان سيفك .

مسز ألونبى — ولكنى ما زلت محتفظة بالقناع .

لورد إلنجورث — إنه يضفى على عينيك جمالا أروع .

مسز ألونبى — أشكرك ... هيا بنا .

لورد إلنجورث — (يلمح خطاب مسز أربوثنط على النضد فيتناوله ويتطلع إلى الغلاف) ما أغرب هذه الكتابة ! إنها تذكرنى بامرأة عرفتها منذ سنوات .

مسز ألونبى — ومن هى ؟

لورد إلنجورث — لا أحد ، أقصد واحدة معينة ، إنها امرأة بلا أهمية (يلقى الخطاب) ويصعد درج الشرفة مع مسز ألونبى ، وهما يتبادلان الابتسام) .

يسدل الستار على الفصل الأول

---

(١) إشارة إلى سفر الرؤيا آخر أسفار الكتاب المقدس .

الفصل الثاني

المنظر — غرفة استقبال فى منزل آل هنستانتن ، بعد العشاء ، وقد أضيئت الأنوار . يرى باب فى الركن الأيمن من الحجرة وباب آخر فى الركن الأيسر .

(يرتفع الستار عن السيدات وهن جالسات على الأرائك)

مسز ألونبى — ما أعظم ارتياحنا ، وقد خلونا لأنفسنا وتخلصنا من الرجال ولو إلى حين .

مسز ستنفيلد — نعم فالرجال لا يفتأون يضطهدوننا بشكل مخيف ، أليس كذلك ؟

مسز ألونبى — تقولين يضطهدوننا ؟ ليتهم فعلوا .

ليدى هنستانتن — عزيزتى !

مسز ألونبى — ما يغيظنى فى هؤلاء التعساء ، إنهم يستطيعون أن يكونوا فى أتم سعادة بدوننا ،ولذلك أرى إنه

من واجب كل امرأة ألا تتركهم وشأنهم لحظة واحدة ، باستثناء فترة الراحة القصيرة الأجل بعد العشاء ، هـذه اللحظة التي لولاها لاستحلنا نحن النساء التعسات إلى مجرد أشباح ، كما أعتقد (يدخل الخدم بالقهوة) .

ليدى هنستانتن — نستحيل إلى أشباح يا عزيزتى ؟

مسز ألونبى — نعم يا ليدى هنستانتن . إنه لمجهود كبير أن نشغل هؤلاء الرجال إلى الحد المطلوب . إنهم دائماً يحاولون أن يهربوا منا .

ليدى ستتفيلد — يبدو لى أننا نحن اللواتى نحاول دائماً أن نهرب منهم . فالرجال قساة لا قلوب لهم أبداً وهم يعرفون قوتهم ويستعملونها .

ليدى كارولين — (تتناول القهوة من الخادم) ما هذا الـكلام والهراء عن الرجال ! إن ما يجدر بنا أن نفعله هو أن نضع الرجال فى موضعهم الصحيح .

مسز ألونبى — ولـكن أين هـو موضعهـم الصحيح ياليدى كارولين ؟

ليدى كارولين — حيث يعنون بزوجاتهم ، يا مسز ألونبى

مسز ألونبى (تتناول القهوة من الخادم) أهكذا ؟
وما قولك إذا لم يكونوا متزوجين ؟

ليدى كارولين — إذا لم يكونوا متزوجين فعليهم أن يبحثوا عن زوجة... إنها لفضيحة كبرى أن نرى هذا العدد الكبير من العزاب يتنقلون فى الاجتماعات . يجب أن يصدر قانون يجبرهم جميعاً على الزواج خلال اثنى عشر شهراً .

ليدى ستتفيلد — (ترفض تناول القهوة) وما قولك إذا كانوا متيمين بحب امرأة قد تكون مرتبطة برجل آخر؟

ليدى كارولين — يجب ، فى هذه الحالة ، ياليدى ستتفيلد أن يزوجوا خلال أسبوع لامرأة محترمة متوسطة الجمال ، تعلمهم ألا يتدخلوا فى مقتنيات الآخرين .

مسز ألونبى — لا أظن أننا نوصف بأننا من مقتنيات الآخرين ، فجميع الرجال المتزوجين هم مقتنيات النساء وهذا هو التعريف الحقيقى الوحيد لعبارة مقتنيات المرأة المتزوجة ، أما نحن فلسنا ملكا لأحد .

ليدى ستتفيلد — كم يسرنى أن أسمعك تقولين هذا !

ليدى هنستانتن — ولكن هل تظنين حقيقة ياعزيزتى

كارولين بأن التشريع يمكنه إصلاح الأمور بأية وسيلة ؟ إنى أسمع أن جميع الرجال المتزوجين فى هذه الأيام يعيشون كالعزاب وجميع العزاب يعيشون كالمتزوجين .

مسز ألونبى — لن أستطيع بالتأكيد أن أميز بين هؤلاء وأولئك .

ليدى ستتفيلد — لا أظن أن الإنسان يستطيع دائماً أن يدرك فى الحال أهذا الرجل أو ذاك مثقل بمطالب الأسرة أم لا ، لقد قرأت فى عيون كثير من الرجال المتزوجين ما يعبر عن الأسى الشديد .

مسز ألونبى — أما عنى فكل ما تبينته فيهم أنهم حين يكونون أزواجا طيبين تراهم ثقيلى الظل إلى حد بعيد ، وحين يكونون عزاباً ، تراهم مغرورين غروراً كريها .

ليدى هنستانتن — أظن طابع الرجل قد تغير تغيراً تاماً منذ حداثتى ، ولكن أرى من الواجب على أن أصرح بأن زوجى العزيز المسكين كان من ألطف المخلوقات بل كان فى نقاوة الذهب .

مسز ألونبي — أما أنا فزوجي نوع من الصكوك الموقوتة وقد سئمت الوفاء بهذه الصكوك[1]

ليدي كارولين — ولكنك تجددينه من وقت لآخر ، أليس كذلك ؟

مسز ألونبي — كلا ياليدي كارولين . لم أتزوج إلا رجلا واحداً للآن . أظنك تنظرين إلى كأني من الهواة .

ليدي كارولين — أما وهذه هي نظرتك إلى الحياة ، فإني لأسأل نفسي كيف خطر لك أن تتزوجي على أية حال .

مسز ألونبي — وأنا أيضاً يدهشني ذلك .

ليدي هنستانتن — أعتقد يا بنيتي العزيزة أنك في حقيقة الأمر سعيدة جداً في حياتك الزوجية ، ولكنك مولعة بإخفاء سعادتك عن الآخرين .

مسز ألونبي — أؤكد لك أنني خُدعت في إرنست بصورة مرعبة .

ليدي هنستانتن — أرجو ألا يكون الأمر كذلك

---

(١) نلاحظ الغمز (وهو نوع من التورية في اللغة الانجليزية) في كلمة « الوفاء » وفي كلمة تجددينه .

يا عزيزتى ، فقد عرفت والدته يا كارولين ، فهى من أسرة ستراتون ، وهى إحدى بنات لورد كرولاند .

ليدى كارولين — لعلها فيكتوريا ستراتون ؟ إنى أذكرها جيداً . لقد كانت إمرأة شقراء سخيفة لا ذقن لها .

مسز ألونبى — ولكن لإرنست ذقناً ، ذقناً قوية مربعة ، أكثر من المعتاد .

ليدى ستنفيلد — ولكن أتظنين حقيقة أن ذقن الإنسان يمكن أن تكون مربعة أكثر من المعتاد . يخيل إلى أن الإنسان يجب أن يبدو قوياً جداً ، وأن تكون ذقنه مربعة جداً .

مسز ألونبى — يجب عليك بلا شك أن تعرفى إرنست يا ليدى ستنفيلد ، ومن العدل أن أخبرك من الآن بأنه لا يحسن الحديث .

ليدى ستنفيلد — إنى أحب الرجال الصامتين .

مسز ألونبى — ليس إرنست بالرجل الصامت . إنه يتكلم طيلة الوقت ، ولكن لا يحسن الحديث ، ولا أدرى فيم يتكلم وقد مرت سنوات وأنا لا أنصت إليه .

ليدى ستتفيلد — أو لم تغفرى له قط إذن ؟ إن هذا لشيء محزن على ما يبدو ، ولكن الحياة كلها محزنة أليس كذلك ؟

مسز ألونبى — ليست الحياة ياليدى ستتفيلد إلا ربع ساعة نحس يتألف من لحظات سعيدة .

ليدى ستتفيلد — نعم ، هنالك لحظات بلا شك . ولكن هل ما أتاه مستر ألونبى كان خطأ جسيما جداً ؟ أغضب منك أو فاه بشيء قاس أو حقيقى ؟

مسز ألونبى — ياعزيزتى : إرنست هادئ دائما ، وهذا أحد الأسباب التى تجعله يثير أعصابى بلا انقطاع . ليس هنالك ما يزيد السخط أكثر من الهدوء . هنالك بلا شك شيء وحشى فى المزاج الهادئ الذى نجده عند أغلب الرجال العصريين ، وإنى لأتساءل كيف تتحمل نحن النساء مزاجهم هذا التحمل الرائع ؟

ليدى ستتفيلد — نعم . إن هدوء الطبع عند الرجال شاهد على افتقارهم إلى ما عندنا من دقة الحساسية ، وكثيراً ما أدى هذا إلى قيام حاجز كبير يفصل بين الزوج والزوجة ، أليس كذلك ؟ ولكنى كم أود أن أعرف ماهية الخطأ الذى ارتكبه مستر ألونبى .

مسز ألونبي — إذن فسأقص عليك الأمر ، على أن تعدينى وعداً صادقاً أن تذيعى الخبر على الملأ .

ليدى ستتفيلد — شكراً ! شكراً ، سآخـــذ على عاتقى إذاعته على الملأ .

مسز ألونبى — عندما كنا مخطوبين أقسم لى وهو جاث على ركبتيه أنه لم يغرم بامرأة أخرى قط طيلة حياته . ولما كنت فى ذلك الوقت صغيرة جـــداً لم أصدقه ، ولا حاجة بى إلى تأكيد ذلك لـكم . على أنى لسوء الحـظ لم أجر استعلامات من أى نوع إلى أن مرت أربعة أو خمسة شهور على زواجنا الفعلى ، واكتشفت أن ما قاله لى كان هو الحقيقة برمتها ، وهذه صفة تجعل الرجل مملا على الإطلاق .

ليدى هنستانتن — عزيزتى !

مسز ألونبى — يريد كل رجل أن يكون دائماً أول رجل في حياة المرأة ، وهذا هو الغرور السيء عند الرجال . أما نحن النساء فإن غريزتنا تتسم بدهاء أكبر فى حكمنا على الأمور ، فـكل واحدة منا تريد أن تكون آخر امرأة أحبها الرجل .

ليدى ستتفيلد — إنى أوافقك فى الرأى ، وإنه لجميل جداً .

ليدى هنستانتن — ولكن يا طفلتى العزيزة ، لعلك تريدين أن تقولى لى : إنك لن تغفرى لزوجك ، لأنه لم يحب امرأة أخرى قبلك ؟ هل سمعت شيئاً كهذا يا كارولين ؟ إنى لمندهشة !

ليدى كارولين — أصبحت الناس على درجة عالية من التعليم ياجين ، بحيث لم يعد أى شىء يدهشنا فى هذه الأيام سوى الزيجات السعيدة . ويبدو أنها بدأت تقل بصورة ملحوظة .

مسز ألونبى — بل مضى زمانها .

ليدى ستتفيلد — إلا بين أفراد الطبقة الوسطى ، كما قيل لى .

مسز ألونبى — ما أنسبها لهم !

ليدى ستتفيلد — هذا صحيح ، إنها تناسبهم جداً . أليس ذلك ؟

ليدى كارولين — إذا كان ما تقولينه عن الطبقة الوسطى صحيحاً ، ياليدى ستتفيلد ، فانه يؤول فى صالحهم ، فهذا الطيش الذى تمعن فيه نساء الطبقة العليا ، باعتباره ، على ما يبدو ، التصرف الصحيح فى نظرهن ، هذا الطيش يدعو إلى الأسف

الشديد ، وإليه أعزو الشقاء الذي يسفر عنـــه هذا العدد الـكبير من الزيجات التى نعرف عنها فى مجتمعنا .

مسز ألو نبي — إعلمى يا ليدي كارولين أننى لا أعتقـد بأن طيش المرأة له أية علاقة بما ذكرت ، فقـد انهارت أسر سعيدة كثيرة فى هذهالأيام بسبب تعقل الزوج أكثر منأى سبب آخر ، كيف ننتظر من المرأة أن تكون سعيدة مع رجل يصر على معاملتها بوصفها كائناً عاقلا فى كمال العقل ؟

ليدى هنستانتن — عزيزتى !

مسز ألو نبي — إن الرجل المسكين ، الأخرق ، الرجل الذى يمكن الاعتماد عليه ، والذي لاغنى لنا عنه ، هذا الرجل ينتمى إلى جنس ظل متعقـلا ملايين عديدة من السنين ، ولا يمكنه التخلى عن صفـة التعقل لأنها فى دمه وسلالته ، أما المرأة فتاريخها مختلف جداً : كنا علىالدوام أداة للاحتجاجات الرائعة ضد مجرد وجود التعقل والإدراك ، وقد رأينا أخطاره منذ البداية .

ليدي ستتفيلد — نعم ، فتعقل الأزواج شاق جداً بكل تأكيـد ، أنبئينى بالله عليك بفكرتك عن الزوج المثـالى ،

لأنى أعتقد أنها ستكون فكرة تساعدنا جداً ، جداً .

مسز ألونبي — الزوج المثالى ؟ ! لا وجود لهذا الشى ، إنه نظام خاطىء .

ليدي ستتفيلد — ما رأيك إذن عن الزوج المثالى وعلاقاته بالنسبة لنا نحن ؟

ليدى كارولين — هذا الرجل ، إن وجد ، يكون على الأرجح واقعياً جداً .

مسز ألونبي — الرجل المثالى ! الرجل المثالى يجب أن يخاطبنا وكأننا ربات ، ويعاملنا كأننا أطفال . يجب عليه أن يرفض تلبية جميع مطالبنا الجدية ، ويشبع كل نزواتنا . يجب أن يشجعنا على أن نكون ذوات هوايات ، ويمنعنا عن أن تكون لنا رسالة فى الحياة . يجب دائماً وأبداً أن يقول أكثر مما يعنى ، ويعنى أكثر مما يقول .

ليدي ستتفيلد — ولكن كيف يفعل الأمرين معاً يا عزيزتى ؟

مسز ألونبي — يجب عليه ألا يلاحق الأخريات من النساء الجميلات قط ، فإن ذلك يدل على افتقاره إلى الذوق أو يجعلنا

نشتبه فى أن لديه منه أكثر مما يجب . لا ، يجب أن يكون لطيفاً فى الكلام عنهن ، ومع ذلك يصرح بأنهن لأمر ما لا يجتذبنه .

ليدى ستتفيلد — نعم ، إنه لأمر سار جداً على الدوام أن نسمع هذا عن الأخريات .

مسز ألونبى — وإذا وجهنا إليه سؤالا عن أى موضوع فعليه أن يمدنا بجواب يحوي معلومات عن أنفسنا فحسب . عليه أن يمتدح فينا بلا انقطاع جميع الصفات التى يعرف أننا نفتقر إليها . ولكنه يجب ألا يعرف الرحمة حين يؤنبنا لفضائل لم نحلم قط بوجودها فينا . لا يجب عليه قط أن يصدق أننا نعرف فائدة الأشياء النافعة ، فإن تصديقه هذا لا يغتفر له . على أنه يجب أن يوفر لنا كل شىء لسنا فى حاجة إليه .

ليدى كارولين — وأنا أري ـ بقدر ما أراه ـ أنه ليس عليه إلا أن يسدد قوائم الحساب ويقدم المجاملات .

مسز ألونبى — يجب عليه أن يداوم على مجاراتنا أمام الناس ، ويعاملنا بكل احترام عندما نكون وحدنا ، وعليه

فى الوقت ذاته أن يكون على استعداد لأن تثور ثائرته كلما أردنا أن نكون فى حاجة إلى ذلك ، وأن يصبح ذليلا ، للغاية فى لحظة حين نخطره بذلك ، وأن يصب علينا تأنيباته العادلة فى أقل من عشرين دقيقة ، وأن يكون عنيفاً جداً فى نهاية نصف الساعة ، وأن يهجرنا إلى غير عودة عند ما تدق الساعة الربع قبل الثامنة ، وفى الوقت الذى علينا فيه أن نرتدى ملابسنا ونتأهب للعشاء ، وفى ساعة الوداع الأخيرة عند ما يرفض أن يستعيد الهدايا الصغيرة التى سبق له تقديمها ، ويصرح بأنه لن يراسلنا بعد اليوم ، أو يسطر لنا أية خطابات حمقاء . بعد كل ذلك يجب أن يصبح منكسر القلب تماماً ، ويرسل لنا البرقيات طول اليوم ، كما يرسل خطابات قصيرة كل نصف ساعة على مركبة خاصة ، ويتناول طعامه فى ناديه وحده ، حتى يعرف الجميع إلى أية درجة من الشقاء وصل ، وبعد أن ينقضى أسبوع مخيف على هذه الحال ، تكون كل امرأة فى خلاله جالت وصالت فى كل مكان ، بصحبة زوجها ، لتقيم الدليل على الوحدة التى نقاسيها ، بعد كل ذلك يمكننا أن نعين له فى المساء وقتاً ليفارقنا فيه الفراق الأخير لثالث مرة، وعندئذ ـ

إذا كان سلوكه لا غبار عليه ، وإذا اتضح أننا أسأنا التصرف حقيقة معه ، عندئذ يجب أن يسمح له بالاعتراف بالخطأ الجسيم الذى ارتكبه ، وعندما يقدم هذا الاعتراف ، يكون لزاماً على المرأة أن تغفر له ، ويمكننا أن نعيد الكرة مرة بعد أخرى ، من بداية القصة إلى نهايتها مع إجراء بعض التنويع .

ليدى هنستانتن — كم أنت حاذقة يا عزيزتى . لعلك لا تعنين تنفيذ كلمة واحدة مما قلت .

ليدى ستتفيلد — شكراً ، شكراً . لقد كان شيئاً مذهلا هذا الذى قلته ، مذهلا جداً . يجب أن أحاول تذكره كله ، فقد أوردت تفاصيل عديدة على جانب عظيم من الأهمية .

ليدي كارولين — ولكنك لم تخبرينا بعد عن المكافأة التى يجب أن تقدم للرجل المثالى .

مسز الونبى — مكافأته ؟ الترجى الذى لا نهاية له فيه الكفاية له .

ليدى ستتفيلد — ولكن الرجال ابتزازيون مرعبون ، أليس كذلك ؟

مسز ألونبى — هذا لا يهم . لا يجب أن نستسلم .

ليدى ستنفيلد — ولا حتى للرجل المثالى ؟

مسز ألونبى — لن يكون ذلك بالتأكيد إلا إذا أرادت الواحدة منا بالطبع أن تسأمه شيئاً فشيئاً .

ليدى ستنفيلد — عجباً ... نعم . لقد فهمت ما قلت ، إنها أمور نافعة جداً ، هل تظنين يا مسز ألونبى أنى سأخطىء أبداً بالعثور على هذا الرجل المثالى ، أو لعل هناك أكثر من رجل مثالى واحد ؟

مسز ألونبى — هناك أربعة منهم فى لندن ياليدى ستنفيلد .

ليدي هنستانتن — عزيزتى !

مسز ألونبى — (تتوجه إلى مسز هنستانتن) ماذا جرى ؟ خبرينى .

ليدى هنستانتن — (بصوت منخفض) لقد نسيت أن الشابة الأمريكية كانت معنا فى الحجرة طيلة الوقت ، وأخشى أن يكون هذا الحديث النابه الذى تبادلناه قد صدمها قليلا .

مسز ألونبى — بل إنه سيفيدها كثيراً !

ليدى هنستانتن — نرجو ألا تكون فهمت الشيء الكثير . أظن أنه يجدر بى أن أذهب إليها وأتحدث معها .

(تنهض وتتجه إلى هستر ورزلى) الآن يا عزيزتى مس ورزلى ، (تجاس إلى جانبها) ما كان أهدأك وأنت جالسة فى هذا الركن الصغير الجميل طول الوقت ! أظنك كنت تقرئين كتاباً ؟ فالمكتبة هنا ملأى بالكتب .

هستر — لا ! كنت أستمع إلى حديثكم .

ليدى هنستانتن — لا يجب أن تصدقى كل ماقيل ياعزيزتى . كما لا يخفى عليك .

هستر — لم أصدق كلمة منه .

ليدى هنستانتن — فعلت عين الصواب يا عزيزتى .

هستر — (متابعة كلامها) لا يمكننى أن أعتقد بوجود نساء لهن آراء فى الحياة كهذه التى سمعتها من بعض ضيوفك الليلة (فترة صمت محرج) .

ليدى هنستانتن — سمعت عن مجتمعكم الشائق فى أمريكا ، إنه يشبه مجتمعنا تقريباً فى بعض النواحى ، كما يقول ابنى فى خطاباته لى .

هستر — فى أمريكا طوائف وأحزاب ، كما يوجد فى أى مكان آخر ياليدى هنستانتن ، ولكن المجتمع الأمريكى يتكون

بكل بساطة من جميع النساء الطيبات وجميع الرجال الطيبين الذين يعيشون فى البلاد .

ليدى هنستانتن — ياله من نظام معقول ، بل أجترىء فأقول إنه نظام شائق أيضاً . أما فى إنجلترا فأخشى أن أقول إن لدينا من الحواجز الاجتماعية المصطنعة أكثر مما يجب ، فنحن لانرى الكثير من الطبقات المتوسطة والدنيا بالقدر الذى يجب أن نراه .

هستر — لا توجد فى أمريكا طبقات دنيا .

ليدى هنستانتن — حقاً ؟ إنه لترتيب غريب .

مسز ألونبى — فيمَ تتحدث هذه الفتاة المخيفة ؟

ليدى ستتفيلد — إنها صريحة بشكل مؤلم ، أليس كذلك ؟

ليدى كارولين — سمعت أنكم فى أمريكا تفتقرون إلى أشياء كثيرة يامس ورزلى ، يقولون إنه لا توجد عندكم أطلال قديمة ولا آثار عجيبة .

مسز ألونبى — (لليدى ستتفيلد) يا له من هراء ! عندهم أمهاتهم ، وعندهم أخلاقهم .

هستر — الأرستقراطية الإنجليزية تمدنا ياليدى كارولين

بما عندنا من الآثار العجيبة ، إنهم يصدّرون إلينا بانتظام كل صنف على ظهر البواخر الكبيرة ، وما أن تطأ أقدامهم أرضنا حتى يعرضوا علينا الزواج ، أما الأطلال القديمة فإننا نحاول تشييد شيء يعمر أكثر من الحجر أو القرميد
(تنهض لتتناول مروحة على النضد)

ليدى هنستانتن — وما هذا الشيء يا عزيزتى ؟ لعله المعرض الحديدى المقام فى المكان الذى يحمل اسماً عجيباً ؟

هستر — (تقف إلى جانب النضد) إننا نحاول بناء الحياة ياليدى هنستانتن ، على أساس أحسن وأصدق وأنقى من الحياة التى تقوم هنا ، ولاشك أن قولى هذا سيقع غريباً على أسماعكم . إنكم يا أغنياء انجلترا لا تعرفون كيف تعيشون ، كيف يمكنكم أن تعرفوا ، وأنتم تبعدون عن مجتمعكم كل ماهو رقيق وصالح؟ إنكم تهزأون بالبسيط والطاهر . إنكم تعيشون جميعاً على الآخرين وبهم ، وتسخرون من تضحية الذات ، وإن كنتم تلقون الخبز للفقراء فإنما لتسكتوهم بعض الوقت ، إنكم لا تعرفون كيف يجب أن تعيشوا ، بالرغم من كل ما عندكم من أبهة وثراء وفن ، بل تجهلون ذلك . إنكم تعشقون الجمال

الذى تستطيعون أن تروه وتلمسوه وتتناولوه ، الجمال الذى تستطيعون أن تدمروه وتدمرونه فعلا . أما جمال الحياة غير المنظور ، جمال الحياة السامية ، الجمال الخفى عن عيونكم ، فلا تعرفون عنه شيئاً . لقد فقدتم سر الحياة . إن مجتمعكم الانجليزى يبدو لى أنانياً ، أحمق، لا عمق فيه ، إنه مجتمع طمس عينيه وأغلق أذنيه . إنه يكمن كأبرص يرتدى الأرجوان[1] ، ويربض كَرِمّة ملطخة بماء الذهب . إن كل ما فيه خطأ فى خطأ .

ليدى ستنفيلد — لا أظن أنه يجب على الإنسان أن يدرك هذه الأمور ، ليس هذا بالأمر الظريف جداً ، أليس كذلك!

ليدى هنستانتن — كنت أظن يا عزيزتى مس ورزلى أنك تحبين المجتمع الانجليزى حباً كبيراً . لقد صادفت نجاحاً ملحوظاً فيه ، حتى أعجب بك خير من به . نسيت ما قاله لورد هنرى وستن عنك ، ولكنه كان ثناء عاطراً ، ولا يخفاك أنه خبير يرجع إليه فيما يتعلق بالجمال .

---

(١) رمز لما كان يلبسه قياصرة الرومان وملوك غابر الزمان .

هستر — لورد هنرى ! إنى أذكره ياليدى هنستانتن ، رجل له إبتسامة نكراء وماض منكر . الجميع يدعونه للولائم ولا تكمل وليمة بدونه ، وما قولك فى أولئك الذين يعزى إليه دمارهم ؟ إنهم منبوذون ، لا اسم لهم ، تعزفون عنهم إذا التقيتم بهم فى الطريق ، وأنا لا أشكو لما لحقهم من عقاب ، فلتُعَاقَبْ كل امرأة أثمت .

(تدخل مسز أربوثنط من مؤخرة الشرفة وهى ترتدى عباءة ونقاباً من « الدنتلا » يغطى رأسها ، وتنتفض عند سماعها العبارة الأخيرة) .

ليدى هنستانتن — سيدتى العزيزة الصغيرة !

هستر — من الصواب أن ينالهم العقاب ، ولكن لا يجب أن ينصب الألم عليهم وحدهم . فإنْ فَعَل رجل وامرأة منكراً ، فليمضيا كلاهما إلى الصحراء حيث يمكنهما أن يتحابا أو يمقت أحدهما الآخر ، وليوصما معاً . ضعوا وصمة العار على كل منهما إذا أردتم ، ولكن لا تعاقبوا الواحد وتتركوا الآخر حراً طليقاً . يجب ألا يكون هناك قانون للرجال وآخر للنساء . إنكم فى

إنجلترا لا تنصفون النساء ، وستظلون كذلك إلى أن تعدّوا العار فى المرأة فضيحةً فى الرجل ، أما الحق ، ذلك العمود الناري[1]، وأما الخطأ ذلك العمود السحابى ، فسيظلان معتمين أمام عيونكم ، أو لا تراهما أبصاركم إلى الأبد ، أو إذا نظرتهما عيونكم فلن تحفل بهما .

ليدى كارولين — هل لى أن أطلب إليك يا مس ورزلى بما أنك واقفة ، أن تناولينى الخيط من خلفك ؟ شكراً .

ليدى هنستانتن — لكم سرنى مجيئك يا عزيزتى مسز أربوثنط ، ولكنى لم أسمع أحداً يعلن قدومك .

مسز أربوثنط — دخلت رأساً من الشرفة ياليدى هنستانتن كما أنا فى ثيابى العادية ، إذ لم تنبئينى بأنك أقمت حفلة .

ليدى هنستانتن — ليست هذه حفلة ، إنهن بعض الضيفات النازلات فى بيتى والذين يجب أن تتعرفى إليهن ،

---

(١) إشارة إلى عمود النار الذى كان يهدى بنى اسرائيل ليلا وعمود السحاب الذى كان يهديهم نهاراً وذلك عند سيرهم فى برية سيناء بعد خروجهم من أرض مصر (خروج ١٣ : ٢١) — المترجم .

اسمحى لى أن أقدمهن (تحاول أن تساعدها فتدق الجرس) كارولين ، هذه مسز أربوثنط ، من ألطف الصديقات لى . ليدى كارولين بونتفراكت ، ليدى ستتفيلد ، مسز ألونبى ، وصديقتى الأمريكية الشابة مس ورزلى ، التى كانت منذ لحظة تقول لنا جميعاً إلى أى حد نحن شريرات .

هستر — أخشى أن تظنى يا ليدى هنستانتن ، أننى تكلمت بشدة أكثر مما ينبغى . ولكن هناك بعض الأشياء فى إنجلترا ...

ليدى هنستانتن — أستطيع أن أقول يا آنستى العزيزة إن هنالك جانباً كبيراً من الصدق فيما قلت ، وكنت تبدين جميلة رائعة وأنت تقولينه ، ولو كان لورد إلنجورث حاضراً لأخبرنا بأن هذا هو الأمر الأهم ، والموضوع الوحيد الذى كنت شديدة فيه قليلا فى رأيى هو ما ذكرته عن لورد هنرى المسكين شقيق ليدى كارولين ، إنه فى الحقيقة رجل حلو المعشر (يدخل الخادم) خذ أشياء مسز أربوثنط (يخرج الخادم وقد حمل الملافح) .

هستر — لم تكن عندى أية فكرة ياليدى كارولين بأنه شقيقك . وإنى آسفة للألم الذى سببته لك بلا شك .

ليدى كارولين — يا عزيزتى مس ورزلى ، إن الجزء الوحيد من خطبتك القصيرة ، إذا صح لى أن أسميها كذلك ، والذى أتفق معك فيه تمام الاتفاق ، هو ما ذكرته عن أخى ، إذ لا يمكن أن يكون ما قلت شيئاً أكثر مما يجب بالنسبة له ، فإنى أعده رجلاً فاجراً ، فاجراً للغاية ، ولكن أرانى مضطرة لأن أقول ما قلته عنه يا جين بأنه حلو المعشر ، فضلاً عن أن عنده خير الطهاة فى لندن . والإنسان يستطيع أن يغفر للناس سيئاتهم بعد عشاء فاخر ، حتى وإن كانوا ذوى قرباه .

ليدى هنستانتن — (لمس ورزلى) والآن هيا يا عزيزتى وتعرفى بمسز أربوثنط ، إنها من الناس الطيبين الظرفاء البسطاء الذين قلت إننا لا نقبلهم فى مجتمعنا ، ويؤسفنى أن أقول إن مسز أربوثنط لا تزورنى إلا فى القليل النادر ، ولكن الخطأ ليس خطئى .

مسز ألونبى — إنه لمما يدعو إلى الملل أن يمكث الرجال

كل هذا الوقت بعد العشاء . أتوقع أنهم يقولون عنا أفظع الأمور .

ليدى ستنفيلد — أو تظنين ذلك حقاً ؟ !

مسز ألونبى — إنى واثقة .

ليدى ستنفيلد — ما أشد فظاعتهم ! هلا تذهبون إلى الشرفة ؟

مسز ألونبى — إلى الشرفة ... إلى غيرها ... إلى أى شىء يبعدنا عن الأمهات والمسنات (تنهض وتتجه بصحبة ليدى ستنفيلد إلى الباب فى الركن الأيسر) سنخرج لنتطلع إلى النجوم فحسب ، ياليدى هنستانتن .

ليدى هنستانتن — ستجدان الكثير منها يا عزيزتى ، الكثير جداً ، ولكن احذرا من البرد (لمسز أربوثنط) سيوحشنا جيرالد جداً ، يا عزيزتى ، مسز أربوثنط .

مسز أربوثنط — ولكن هل عرض عليه لورد إلنجورث حقيقة أن يكون سكرتيره ؟

ليدى هنستانتن — أى نعم ، وكان ذلك لطيفاً جداً منه

إنه يرى فى ابنك رأياً سامياً ، لا أعتقـد أنك تعرفين لورد إنلجورث ياعزيزتى ؟

مسز أربوثنط — لم أقابله قط فى حياتى .

ليدى هنستانتن — تعرفينه بالاسم بلا شك ؟

مسز أربوثنط — أخشى أن أقول لا . إنى أعيش بعيدة عن العالم جداً،وأرى القليل جداً من الناس . وأذكر أنى سمعت منذ سـنين مضت عن شيـخ ، يخيل إلىّ أنه كان يدعى لورد إنلجورث يعيش فى يوركشير على ما أظن .

ليدى هنستانتن — هذا صحيـح ، لعله الإرل[1] قبـــل الأخير . كان رجلا عجيباً جـداً ، أراد أن يتزوج امرأة من طبقة دون طبقته ، أو رفض فى ظنى أن يتزوجها ، فأثار هذا فضيحة . أما لورد إنلجورث الحالى فشخص مختلف جداً ... إنه رجل مشهور ، يعمل فى ... الواقع أنه لاعمل له ، وهذا أمر أخشى أن تراه ضيفتنا الأمريكية الحسناء شراً مستطيراً

(١) لقب معروف فى انجلترا .

فى أى إنسان كان ، ولا أعرف عنه الاهتمام الكثير بالموضوعات التى تهمك ياعزيزتى مسز أربوثنط ، أتظنين يا ليدى كارولين أن لورد إنجورث يعنى بمشكلة إيجاد مساكن للفقراء[1] ؟

ليدى كارولين — لا أظن أنه يعنى بها قط يا جين .

ليدى هنستانتن — إننا جميعاً تختلف مشاربنا ، أليس كذلك ؟ ولكن للورد النجورث مكانة سامية ، وليس ثمة شىء لا يمكنه أن يحصل عليه إذا هو رغب فى أن يطالب به ، وهو بطبيعة الحال ما زال صغير السن نسبيا ، ورث لقبه منذ . . . منذ كم سنة بالضبط يا كارولين وصل لورد إنجورث إلى لقبه ؟

ليدى كارولين — أظنه حصل عليه منذ أربع سنوات . وأذكر أن ذلك كان فى السنة ذاتها التى لغطت فيها صحف المساء آخر مرة بأمره .

---

(١) كانت هذه المشكلة تشغل الرأى العام فى انجلترا فى تلك الأيام كما تشغلنا هذه الأيام .

ليدى هنستانتن — لقد تذكرت . كان ذلك منذ حوالى أربع سنوات . وكان من الطبيعى أن عددا كبيرا من الناس يقفون بين لورد إلنجورث واللقب يامسز أربوثنط ، فقد كان هناك . . . من كان ذاك يا كارولين ؟

ليدى كارولين — كان هناك طفل مرغريت المسكينة . تذكرين كم كانت تواقة لمولود ذكر ، ورزقت بولد ولكنه مات ، ثم مات زوجها عقب ذلك مباشرة ، فتزوجت ، ولما يكد يمضى وقت على وفاته ، أحد أبناء لورد سكوت ، وبلغنى أنه يضربها .

ليدى هنستانتن — هذا فى الأسرة ياعزيزتى ، فى الأسرة ، فقد كان من بين أعضائها قسيس كما أذكر ، قسيس كان يريد أن يكون معتوها ، أو لعله معتوه يريد أن يكون قسيساً . نسيت الوضع ، ولكنى أعرف أن محكمة الأحوال الشخصية فحصت حالته وأصدرت حكماً بأنه عاقل تماماً . وشاهدته بعد ذلك فى منزل لورد بلمستد المسكين وقد وضع قشاً فى شعره أوظهر بمظهر غريب لا أذكره . وكم يؤسفنى يا ليدى كارولين

أن ليدى سيسيليا لم تعش لترى ابنها وقد أصبح لورداً .

مسز أربوثنط — تقولين ليدى سيسيليا ؟

ليدى هنستانتن — كانت والدة لورد النجـــورث ، يا عزيزتى ، إحدى بنات الدوقة جرننجام الجميلات ، تزوجت سير توماس هارفورد الذى لم يكن عند ذاك مناسباً لمقامهـا بالرغم من أنه كان أجمل رجل فى لندن كما يقال . وعرفتهما جميعاً معرفة وثيقة كما عرفت ابنيهما أرثر وجورج كذلك .

مسز أربوثنط — وورث الابن الأكبر بالطبع ياليدى هنستانتن ؟

ليدى هنستانتن — لا يا عزيزتى ، لأنه قتل فى ميدان الصيد ، أو لعله كان فى صيد السمك يا كارولين ، أنا كثـيرة النسيان ، ولـكن جورج ورث كل شىء ، ولطالمـا قلت له إنه لم يفز ابن أصغر بالحظ الذى فاز هو به .

مسز أربوثنط — أريد أن أتحدث مع جيرالد فى الحال ياليدى هنستانتن. أيمكننى أن أراه ؟ أيمكن أن نستدعيه ؟

ليدى هنستانتن — بالتأكيد يا عزيزتى . سأرسل أحد الخـدم إلى غرفة الطعـام ليحضره . لا أدرى ما الذى يبقى

الرجال طول هذا الوقت (تدق الجرس) عند أول معرفة لى بلورد النجورث ، وكان اسمه جورج هارفورد فقط ، كان شاباً ذكياً حسن الهندام يتجول فى المدينة بلا عمل يؤديه ، لا يملك أقــل شيء من المال ، إلا ما كانت ليدي سيسيليا الطيبة تنفحه به ، وكانت متعلقة به جداً ، أظن على الأخص لأنه لم يكن على علاقة طيبة بوالده . عجبــاً ! هو ذا عزيزنا الأرتشديكن (للخادم) لا بأس .

(يدخل سيرجون ودكتور دوبنى . يتجه سيرجون إلى ليدي ستتفيلد ، والدكتور دوبنى إلى ليدى هنستانتن)

الأرتشديكن — كان لورد إلنجورث مسليــاً جداً ، ولم أستمتع طيلة حياتى بقدر ما استمتعت هذه الساعة (يشاهد مسز أربوثنط) هذى أنتِ يا مسز أربوثنط ؟

ليدى هنستانتن — (للدكتور دوبنى) أنت ترى أنى أفلحت أخيراً فى استقدام مسز أربوثنط لزيارتى .

الأرتشديكن — إنه لشرف عظيم ، يا ليــدى هنستانتن ، ستغار منك مسز دوبنى لذلك .

ليدي هنستانتن — يؤســفنى جــداً أن مسز دوبنى لم

تستطع المجيء معك الليلة . لعله الصداع المعتاد ؟

الأرتشديكن — نعم يا ليدى هنستانتن إنها تقاسى كالشهداء ، ولكنها أسعد حالاً عند ما تكون وحدها . سعادتها فى وحدتها .

ليدي كارولين — (لزوجها) جون ! (يتجه سير جون إلى زوجته ، بينما يتحدث الدكتور دوبنى إلى ليدى هنستانتن ومسز أربوثنط)

(وتراقب مسز أربوثنط لورد النجورث طيلة الوقت وقد قطع أرض الغرفة دون أن يلحظ وجودها ، واتجه نحو مسز ألونبى ، وكانت واقفة إلى جانب الباب مع ليدى ستتفيلد تنظر إلى الشرفة)

لورد النجورث — وكيف حال أجمل امرأة فى العالم ؟

مسز ألونبى — (تتناول يد ليدى ستتفيلد) كلانا فى صحة جيدة ، يالورد النجورث . شكراً ، ولكنك لم تمكث طويلا فى غرفة الطعام ! يبدو لى كأننا غادرناها منذ لحظة .

لورد النجورث — لقد سئمتها حتى الموت . لم أقل شيئاً طوال الوقت ، لأنى كنت تواقاً أبداً لآتى إليك .

مسز ألونبى — ليتك فعلت . كانت الفتاة الأمريكية تلقى علينا محاضرة .

لورد النجورث — حقاً تقولين ! أعتقد أن جميع الأمريكيين يلقون محاضرات . ويخيل إلىّ أن ذلك يرجع إلى شيء مافى المناخ . عم كانت محاضرتها ؟

مسز ألونبى — عن التزمت بالطبع .

لورد النجورث — سأعظها حتى ترتد عنه ، أليس كذلك ؟ كم من الزمن تعطينني لذلك ؟

مسز ألونبى — أسبوعاً .

لورد النجورث — أسبوع فيه الكفاية ويزيد .

(يدخل جيرالد ولورد ألفرد)

جيرالد — (يتجه نحو مسز أربوثنط) : والدتى العزيزة

مسز أربوثنط — جيرالد ، أشعر بإعياء ، خذنى إلى البيت يابنى كان يجب ألاّ أحضر .

جيرالد — يؤسفنى ذلك . سآخذك بكل تأكيد ، ولكن يجب أن تتعرفى بلورد النجورث أولاً (يقطع الغرفة إلى الجانب الآخر)

مسز أربوثنط — ليس فى هذه الليلة يا جيرالد .

جيرالد — لورد النجورث ، أرغب جداً فى أن تتعرف بوالدتى :

لورد إلنجورث — بكل سرور (مسز ألونبى) سأعود بعد لحظة . آه من الأمهات ! إنهن يسببن لى السآمة حتى الموت . وجميع النساء ينتهى بهن الأمر الى أن يصبحن شبيهات بأمهاتهن وهذه مأساتهن .

مسز ألونبى — وما من رجل أصبح شبيها بأمه ، وهذه مأساته !

لورد النجورث — إن لك مزاجاً ممتعاً الليلة ! (يتحول عنها ويقطع الحجرة مع جيرالد إلى حيث تجلس مسز أربوثنط . وما أن تقع عيناه عليها ، حتى يرتد مندهشاً ، ويتحول نظره شيئاً فشيئاً نحو جيرالد .

جيرالد — هو ذا يا أماه لورد النجورث الذى تفضل فاتخذنى سكرتيره الخاص (تنحنى مسز أربوثنط ببرود) إنها فاتحة مدهشة لى ، أليست كذلك وكل ما أرجوه ألاّ

يخيب رجاؤه فى . ستقـدمين الشكر للورود النجورث .
ألست فاعلة ؟

مسز أربوثنط — إنى واثقة من أنه كرم من لورد النجـورث أن تصبح موضوع اهتمامه فى هذه اللحظة .

لورد النجورث — (يضع يده على كتف جيرالد) لقد أصبحنا أنا وجيرالد أصدقاء على درجة كبيرة من الصداقة يامسز .... أربوثنط .

مسز أربوثنط — لا يمكن أن يـكون بينك وبين ابنى شىء مشترك يالورد النجورث .

جيرالد — كيف تجرؤين على هذا القول ياوالدتى العزيزة ؟ إن لورد النجورث بالطبع حاذق جـداً وما إلى ذلك من الصفات . فهو رجل واسع الإلمام بكل شىء .

لورد النجورث — يالك من غلام !

جـيرالد — إنه يعرف عن الحيـاة أكثر من أى إنسان قابلته عندما أكون معك يالورد النجورث أشعر بأنى بليـد أخرق . إن لى بلا شـك بعض المزايا الضئيـلة ، ولم أذهب إلى

إيتـون أو أكسفورد كغيرى من الشبان ، ولـكن لورد النجورث لا يعير هذا الأمر أهمية على مايبدو ، لقد كان طيباً جداً معى يا أماه .

مسز أربوثنط — قد يغـير لورد النجورث رأيه ، وقد لا يكون فى الحقيقة راغباً فى أن تـكون سكرتيره الخاص .

جيرالد — أماه !

مسز أربوثنط — يجب أن تذكر ما قلته أنت نفسك من أنك لا تـكاد تملك أيا من المزايا .

مسز ألونبى — أريد أن أتحدث اليك لحظـــة يالورد النجورث. تكرم بالمجىء إلى هنا .

لورد النجورث — معذرة يامسز أربوثنط،وأنت ياجيرالد لاتدع والدتك الظريفة تضع عقبات جديدة فى طريقك فإن الأمر يعد منتهياً ، أليس كذلك ؟

جيرالد — أرجو ذلك (يقطع لورد النجـورث الحجرة متجهاً إلى مسز ألونبى .

مسز ألونبى — ظننت أنك لن تترك السيدة التى ترتدى الثوب ذا المخمل الأسود .

لورد النجورث — إنها ذات حسن رائع (ينظر إلى مسز أربوثنط)

ليدى هنستانتن — هلا انتقلنا جميعاً إلى قاعة الموسيقى ؟ ستعزف لنا مس ورزلى . ألا تنضمين إلينا أنت أيضاً يامسز أربوثنط ، لو تعلمين أية متعة تختبىء لك ! (للدكتور دوبنى) يجب على فى الحقيقة أن آتى بمس ورزلى إلى دار الكنيسة ذات مساء ، تبالى ! لقد نسيت أن مسز دوبنى تشكو خللا فى سمعها ، أليس كذلك ؟

الأرتشديكن -- يسبب لها صممها حرمانا كبيراً ، فهى لاتستطيع الآن سماع مواعظى ذاتها،فتقرأها في المنزل ، ولكنها واسعة الحيلة ومعين تفكيرها لا ينضب .

ليدى هنستانتن — في ظنى أنها تقرأ كثيراً .

الأرتشديكن — لا تقرأ إلا الكتب ذات الحروف الكبيرة جداً فنظرها يذهب فى سرعة ، ولكنها

لاتظهر الانقباض مطلقاً .

جيرالد — (للورد النجورث) أرجوك أن تتحدث إلى والدتى قبل أن تدخل قاعة الموسيقى يالورد النجورث . يبدو أنها تظن أنك لا تعنى تنفيذ ما تكلمت به

مسز ألونبى — ألا تأتى ؟

لورد النجورث — بعد لحظات قليلة . أود ياليدى هنستانتن أن أقول بضع كلمات لمسز أربوثنط إذا سمحت لى ، ثم نلحق بعد ذلك بكم .

ليدى هنستانتن — أوه طبعاً . ستجد أشياء كثيرة تقولها لها ، وستجد هى بدورها أشياء كثيرة تشكرك من أجلها . لا ، فما تقدم أمثال هذه المناصب لجميع الأبناء ، يامسز أربوثنط ، ولكنى أعرف أنك تقدرين هذا العرض حق قدره ياعزيزتى .

ليدي كارولين — جون !

ليدى هنستانتن — والآن يالورد النجورث ، لا تحجز مسز أربوثنط طويلا ، اذ لا يمكننا أن نستغنى عنها .

(تخرج في أثر الضيوف الآخرين ، ويسمع صوت العزف على الفيولينه من قاعة الموسيقى)

لورد النجورث — إذن هو ابننا ياراشيل ! كم أنا فخور به الآن ! إنه من آل هارفورد ، كل عرق فيه ، ولما كان الشيء بالشيء يذكر يا راشيل فلم اخترت اسم أربوثنط ؟

مسز أربوثنط — عندما لايكون للانسان حق في حمل أي اسم لا يكون عنده فرق بين اسم وآخر .

لورد النجورث — هو كذلك . ولكن لم اخترت له اسم جيرالد ؟

مسز أربوثنط — سميته باسم رجل كسرت قلبه ـ والدى .

لورد إلنجورث — والآن ياراشيل ، مافات مات ، وكل ما يمكنني أن أقوله هو أنني مسرور جداً بابننا . لن يعرفه العالم إلا سكرتيرا خاصاً لى ، وسيكون قريباً من قلبي جدا ، عزيزاً على . إنه لأمر غريب ، ياراشيل ، لقد كانت حياتى تبدو وكأنها كاملة جداً ، وإذا هى ليس كذلك . كان ينقصها شيء . كان ينقصها ولد ، ولقد وجدت لى ابنا الساعة ، وأنا سعيد لأنى وجدته .

مسز أربوثنط — ليس لك الحق فى المطالبة به ، أو بجزء منه ، فالولد كله لى ، وسيظل لى .

لورد النجورث — لقد استحوذت عليه ياعزيزتى راشيل عشرين سنة فلم لا تدعيه لى بعض الوقت الآن ؟ فهو ابنى بقدر ما هو ابنك .

مسز أربوثنط — أتتحدث عن الطفل الذى هجرته ، الطفل الذى كان يمكن أن يموت من الجوع ومن الفاقة ، لو كان الأمر بيدك ؟

لورد النجورث — أو تنسين أنك أنت ياراشيل التى تركتنى ، ولم أكن أنا الذى تركتك ؟

مسز أربوثنط — هجرتك لأنك رفضت أن يحمل الطفل اسمك ، فقبل أن يولد ابنى توسلت إليك أن تتزوجنى .

لورد النجورث — لم يكن أمامى مستقبل فى ذلك الوقت ، فضلا عن أنى لم أكن أكبرك كثيراً . كنت فى الثانية والعشرين ، وأعتقد أن سنى كانت إحدى وعشرين سنة

عند ما بدأت العلاقة بيننا فى حديقة والدك .

مسز أربوثنط — عندما لا تقصر سن الرجل عن حمله على ارتكاب الخطأ ، يجب ألا تقصر أيضاً عن حمله على فعل الصواب .

لورد النجورث— جوامع الفكر المطلقة لها روعتها على الدوام ، ولكن إطلاق الأقوال بأسلوب التعميم لايعنى شيئاً فى المسائل الأخلاقية ، أما قولك إنى تركت ابننا يموت جوعا فهو لاشك قول لا معنى له وغير صحيح ، وقد عرضت عليك والدتى ستمائة جنيه فى السنة ، ولكنك أبيت أن تأخذى شيئا، واختفيت وحملت الولد معك .

مسز أربوثنط — لم أرغب فى أخذ درهم واحد منها . أما والدك فكان من طينة أخرى . فقد قال لك فى حضورى، عندما كنا فى باريس ، إن الواجب يحتم عليك الزواج بى .

لورد النجورث — أوه ! ينتظر الانسان من الغير أن يفعلوا الواجب أما هو نفسه فلا يفعله . كنت بالطبع متأثراً بوالدتى . وكل إنسان يتأثر بوالدته حين يكون صغيراً .

مسز أربوثنط — يسرني أن أسمع هذا القول منك ! إذن فلتعلم أن جيرالد لن يذهب معك .

لورد النجورث — ما هذا الهراء يا راشيل ؟

مسز أربوثنط — هل تظن أني أسمح لابني .

لورد النجورث — ابننا .

مسز أربوثنط — ابني أنا (لورد النجورث يهز كتفيه) هل تظن أني أسمح له بالذهاب مع الرجل الذي أفسد شبابي ، الرجل الذي دمر حياتي ، ولوث كل لحظة من أيامي ، إنك لاتعرف كم قاسيت في ماضي وكم حملت من عار ؟

لورد النجورث — يجب أن أقول بصراحة ياراشيل إني أظن أن مستقبل جيرالد يفوق ماضيك أهمية .

مسز أربوثنط — لا يمكن لجيرالد أن يفصل مستقبله عن ماضيّ .

لورد النجورث — بل هذا هو ما يجب تماماً أن يفعله ، وهذا هو ما يجب تماماً أن تساعديه على فعله . يالك من امرأة فيك كل صفات حواء . تتكلمين بعاطفتك وأنت في منتهى

الأنانية طول الوقت ، ولكن لا تدعينا تثير ضجة . أريدك ياراشيل أن تنظرى إلى الأمر من الوجهة العقلية ، من وجهة ما هو خير لولدنا ، ولنخرج أنت وأنا من الحساب . ما هو مركز ابننا الآن ؟ كاتب فى مصرف إقليمى فى مدينة من الدرجة الثالثة، وبمرتب أقل مما يستحق ، وإذا خيل اليك أنه سعيد فى مركزه فانك مخطئة ، إنه متبرم به تماما .

مسز أربوثنط — لم يكن متبرماً بشيء إلى اليوم الذى قابلك فيه . وأنت الذى جعلته كذلك .

لورد النجورث — أنا الذى جعلته يتبرم طبعاً . ذلك أن عدم الرضا بالأشياء هو الخطوة الأولى لتقدم الفرد أو الأمة ، على إنى لم أتركه فى حالة من يتوق إلى أشياء لا سبيل إليها . كلا ، لقد عرضت عليه منصباً باهراً ، ولا حاجة للقول أنه قبل العرض بحماسة،وأى شاب لا يفعل ذلك ؟ والآن وبعد أن ظهر أنى والد الفتى وأن الفتى ابنى ، تتقدمين برأى فيه دمار مؤكد لحياته العملية ، ومعنى هذا أنى لو كنت رجلا غريباً لسمحت لجيرالد بالذهاب معى ، أما وهو من لحمى ومن دمى فأنت ترفضين . ما أبعدك جداً عن المنطق !

مسز أربوثنط — لن أسمح له بالذهاب معك .

لورد إلنجورث — وكيف يمكنك أن تمنعيه من الذهاب معي ، وأي عذر يمكنك أن تقدميه لحمله على التخلي عن المنصب الذي أعرضه عليه ؟ إني لن أذكر له العلاقة التي تربطني به ، وأنت أيضاً لا تجرؤين على ذكرها ، إنك تعرفين ذلك ، فانظري كيف نشأته .

مسز أربوثنط — لقد نشأته على أن يكون رجلا طيباً .

لورد إلنجورث — تماماً كذلك ، أوتعرفين ما سيترتب على ذلك ؟ لقد علمته أن يكون قاضيك إذا ما اكتشف الحقيقة وسيكون عليك القاضي المتحامل الجائر ، لا تكوني مخدوعة فالأبناء يفتحون عيونهم على حب والديهم ، وبعد فترة من الزمن يصبحون قضاة عليهم ، وقلما يغفرون لهم ، إذا كان للغفران سبيل .

مسز أربوثنط — لا تحرمني من ابني يا جورج ، لقد عشت عشرين سنة في حزن مقيم ، وليس لدي في الحياة من يحبني إلا هو ، وليس له في الحياة من يحبه إلا أنا ، أما أنت فقد استمتعت بحياة كلها لذة ونجاح ، عشت سعيداً

ولم تفكر قط فينا، إذ ليس لديك مايدعوك إلى التفكير فينا، إذا أخذنا بنظرتك إلى الحياة، أما مقابلتك لنا فقد كانت مجرد حدث، حدث مريع، انسها، ولا تأت الساعة لتسلبنى . . . لتسلبنى كل ما أملك فى هذا العالم كله، أنت غنى فى كل شىء، فاترك لى كرمة حياتى الصغيرة هذه[1]، اترك لى البستان المسيج وبئر الماء، النعجة التى أعطانيها الله[2]، رحمة بى أو نعمة على، أتركها لى بربك . جورج، لا تأخذ منى جيرالد .

لورد النجورث — أنت الآن يا راشيل لست ضرورية لحياة جيرالد العملية، أما أنا فضروري، وليس لدى مايمكن أن نضيف إلى ما قلناه عن هذا الأمر .

---

(١) إشارة الى قصة نابوت اليزرعيلى الرجل الفقير الذى كان له بستان صغير بجانب قصر الملك آخاب ملك السامرة، فطلبه منه الملك، ولما لم يعطه إياه قتله واستولى عليه بمساعدة زوجته ازابيل (راجع سفر الملوك الأول ٢١ : ١ ، ٢)

(٢) إشارة إلى قصة الرجل الفقير الذى لم يكن له إلا نعجة واحدة، وكان لجاره الغنى مواش كثيرة فلما جاءه ضيف ذبح نعجة الرجل الفقير وقدمها للضيف (صموئيل الثاني ١٢ : ٢ ، ٣) (المترجم)

مسز أربوثنط — لن أدعه يذهب .

لورد النجورث — هو ذا جيرالد ، إن من حقه أن يقرر الأمر بنفسه (يدخل جيرالد)

جيرالد — والآن يا أماه ، أرجو أن تكونى قد سويت الأمور مع لورد النجورث .

مسز أربوثنط — لم أفعل ياجيرالد .

لورد النجورث — يبدو أن أمك ، لسبب من الأسباب لاترغب فى مجيئك معى .

جيرالد — لِمَ يا أماه ؟

مسز أربوثنط — كنت أظن أنك سعيد معى ، ياجيرالد ولم أكن أعلم أنك تواق لتركى إلى هذه الدرجة .

جيرالد — أماه ، كيف تتفوهين بهذا الكلام . أنا سعيد جداً معك بلا شك ، ولكن الرجل لا يستطيع أن يعيش دائماً مع أمه . ليس من شاب يفعل ذلك ، أريد أن أكوّن لنفسى مركزاً ، أن أؤدي عملا ، وظننت أنك سوف تفخرين بأن ترينى سكرتيراً للورد النجورث .

مسز أربوثنط — لا أظن أنك ستكون مناسباً لشغل منصب سكرتير خاص للورد النجورث ، لأنك لا تملك أية مؤهلات .

لورد النجورث — لا أود يا مسز أربوثنط أن أبدو لحظة واحدة كمن يتدخل فى شئون الغير ، ولكنى خير حكم دون شك ، فيما يتعلق باعتراضك الأخير . وأستطيع أن أقول لك فحسب أن ابنك حائز لجميع المؤهلات التى كنت أصبو إليها ، إن لديه منها فى الواقع أكثر مما كنت أظن ، أكثر جداً (تظل مسز أربوثنط صامتة) ألديك سبب آخر يا مسز أربوثنط يجعلك ترغبين عن قبول ابنك لهذا المنصب ؟

جيرالد — ألديك يا أماه ؟ بالله عليك أجيبى !

لورد النجورث — إن كان لديك السبب يامسز أربوثنط فأرجو أن تذكريه ، أرجوك . إننا وحدنا هنا ، ومهما يكن هذا السبب ، فلا حاجة لى أن أقول إنى لن أردده على الغير .

جيرالد — أماه !

لوردالنجورث — إذا أردت أن تختلى بابنك فلن أحول

دون ذلك ، فقد يكون لديك سبب آخر لا تودين إطلاعى عليه .

مسز أربوثنط — ليس لدى أى سبب آخر .

لورد النجورث — يمكننا إذن يا بنى العزيز أن نعتبر الأمر منتهياً ، هيا بنا ندخن سيجارة على الشرفة معاً . واسمحى أن أقول لك يا مسز أربوثنط ، إنك تصرفت تصرفاً حكيما جداً .

(يخرج لورد النجورث مع جيرالد تاركين مسز أربوثنط وحدها تقف كالتمثال وقد بدت على وجهها نظرة تنم عن حزن لا يعبر عنه)

تنسدل الستار عن الفصل الثانى

الفصل الثالث

المشهد — قاعة الصور فى منزل هنستانتن — يرى فى المؤخرة باب يؤدى إلى الشرفة (يشاهد لورد النجورث وجيرالد فى الركن الأيمن من المكان : الأول مقتعداً إحدى الأرائك فى تكاسل ، والآخر على أحد الكراسى)

لورد النجورث — امرأة فى تمام العقل والدتك يا جيرالد . كنت أعرف أنها ستصفو فى النهاية .

جيرالد — والدتى حية الضمير جداً يالورد النجورث . وأنا أعلم أنها لا تعتقد بأننى نلت التعليم الكافى الذى يؤهلنى لأن أكون سكرتيرك الخاص ، وإنها على صواب أيضاً . كنت خاملا جداً أيام التلمذة ، وما كان فى مقدورى النجاح فى امتحان بفيه إنقاذى الآن .

لورد النجورث — يا عزيزى جيرالد ، لا قيمة للامتحانات أياً كانت . فإما أن يكون الرجل سيداً

« جنتلمان » فيعرف ما فيه الكفاية ، وإما ألا يكون فيصبح مايعرفه ، أياً كان ، وبالا عليه .

جيرالد — ولكنى جاهل جداً بالحياة يا لورد النجورث

لورد النجورث — لاتكن وجلا ياجيرالد . وتذكر أن لك أروع مافى الحيــاة ، الشباب . ليس للشباب نظير ، فالكهول مرتهنون للحياة ، والشيوخ يطرحون فى حجرة المهملات سقط متاع . أما الشباب فهو رب الحيــاة ، وله ملكوت ينتظره . يولد كل واحد منا ملكا ، ولكن معظم الناس يموتون فى المنفى ، كما يحدث لمعظم الملوك . وإنى لأفعل أى شىء ، ياجيرالد ، فى سبيل استعادة شبابى ، أى شىء إلا أن أمارس الرياضة وأنهض من الفراش مبكراً وأصبح العضو النافع فى المجتمع .

جيرالد — ولكن هل تعــد نفسك شيخاً يالورد النجورث ؟

لورد النجورث — إنى فى سن يؤهلنى لأن أكون والدك ، يا جيرالد .

جيرالد — لأذكر أبى ، فقد توفى منذ سنوات بعيدة .

لورد النجورث — هذا ما قالته لى ليدى هنستانتن .

جيرالد — شىء غريب جداً . إن والدتى لاتتحدث لى قط عن والدى حتى ليخامرنى الظن فى بعض الأحيان بأنها تزوجت رجلا أدنى منها مقاما .

لورد النجورث — (يجفل قليلاً) حقا ؟ (ينهض فيتجه نحو جيرالد ويضع يده على كتفه) أظنك شعرت بالوحشة لحرمانك من الأب يا جيرالد ؟

جيرالد — لا . لا ! كانت والدتى الأم الرءوم دائماً . لم يحظ ابن قط بأم كالتى حظيت بها .

لورد إلنجورث — إنى متأكد من ذلك ، لكن يخيل إلىّ أن أكثر الأمهات لا يفهمن أبناءهن تمام الفهم . أعنى بذلك أنهن لايفهمن أن لأبنائهن مطامح ، ورغبة فى أن يتعرفوا إلى الحياة ، وأن يوجدوا لأنفسهم كيانا وشهرة ، والآن ياجيرالد وبعد كل ما قيل : هل ينتظر منك أن تقضى العمر فى مكان ضيق مثل بلدة روكلى ؟

جيرالد — لا ! لا ! إنه لأمر مرعب .

لورد النجورث — محبة الأم تؤثر فى النفس بطبيعة الحال ، ولكنها كثيراً ما تكون أنانية بصورة غريبة ، أعنى أن بها قدرا كبيراً من الأنانية .

جيرالد — (بتؤده) أظن ذلك .

لورد النجورث — والدتك امرأة طيبة جداً ، ولكن للنساء الطيبات آراء محدودة فى الحياة ، آفاقهن ضيقة واهتماماتهن صغيرة ، أليس كذلك ؟

جيرالد — إنهن بلا شك يبدين اهتماما كبيرا بأشياء لانحفل نحن بها كثيرا .

لورد النجورث — يخيل إلى أن والدتك امرأة متدينة أوشيئا من هذا القبيل .

جيرالد — نعم ، إنها مواظبة على الذهاب إلى الكنيسة .

لورد النجورث — انها ليست امرأة عصرية ، وفى أيامنا هذه لا قيمة للإنسان إن لم يكن عصريا . إنك تريد أن

تكون عصريا يا جيرالد ، أليس كذلك ؟ وتريد أن تعرف الحياة على حقيقتها ، لا أن تحجم عنها متأثراً بأية نظريات قديمة العهد . والآن ليس عليك إلا أن تكيف نفسك لأرقى المجتمعات . فالرجل الذى يستطيع أن يهيمن على حفلة عشاء فى لندن يستطيع أن يهيمن على العالم ، والمستقبل للمتأنقين . وستكون مقاليد الحكم بأيديهم .

جيرالد — أحب ارتداء الثياب الفاخرة حباً شديداً ، ولكن أدخل فى روعى دائما أنه لايجب على الإنسان أن يفكر كثيراً فى ملبسه .

لورد النجورث — الناس فى هذه الأيام سطحيون لا عمق فيهم مطلقاً ، بحيث أنهم لا يدركون فلسفة الأمور السطحية . ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، يجب عليك ياجيرالد أن تتعلم كيف تربط رباط الرقبة بطريقة أفضل ، فلا بأس من أن يتبع الإنسان ميله الخاص فيما يتعلق بعروة السترة ، أما رباط الرقبة فالشيء الأساسى فيه هو أسلوب ربطه ، فرباط الرقبة المربوط بإتقان هو الخطوة الجدية الأولى في الحياة .

جيرالد — (ضاحكا) قد أستطيع أن أتعلم طريقة لبس رباط الرقبة يالوردالنجورث ، ولـكنى لن أستطيع أن أتحدث كما تتحدث أنت ، فأنا لا أعرف كيف يـكون التحدث .

لورد النجورث — تحدث إلى كل امرأة كأنك مغرم بها ، وإلى كل رجل كأنه يبعث فيك السآمة والملـل ، ولن ينتهى الموسم حتى تشتهر بأنك الرجل الذى يملك اللباقة الاجتماعية على أتمها .

جيرالد — ولـكن من الصعب جداً الاختلاط بالمجتمع ، أليس كذلك ؟

لورد النجورث — لـكى يدخل الانسان المجتمع الراقى فى هذه الأيام ، عليه أن يطعم الناس أو يسلى الناس أو يصدم الناس — وهذا كل مافى الأمر .

جيرالد — يخيل إلى أن فى المجتمع متعة عجيبة .

لورد النجورث — فى المجتمع سآمة ، وفى الابتعاد عنه مأساة . فالمجتمع ضرورة لابد منها . لن يصادف الرجل نجاحا

حقاً فى هذا العالم إن لم يكن لديه امرأة تسنده ، فالنساء يحكمن المجتمع ، وإذا لم يقفن إلى جانبك فقد انتهى أمرك . خير لك أن تصبح فى الحال قاضياً أو سمساراً للأوراق المالية أو صحفياً .

جيرالد — إدراك كنه المرأة أمر صعب ، أليس كذلك؟

لورد النجورث — لا تحاول فهمهن أبدا ، فالنساء صور .. أما الرجال فمشكلات ، وإذا أردت أن تعرف قصد المرأة على حقيقته وإنى أذكرك بأنه أمر خطر دائمـــاً ، فانظر اليها ولـكن لا تنصت اليها !

جيرالد — ولـكن النساء حاذقات جداً ، أليس كذلك ؟

لورد النجورث — علينا أن نقول لهن ذلك دائماً . أما فى نظر الفيلسوف ياعزيزى جيرالد فالنساء يمثلن انتصار المادة على العقل كما أن الرجال يمثلون انتصار العقل على المبادىء الأخلاقية .

جيرالد — كيف أمكن للنساء اذن أن يحصلن على كل هذه السلطة ، التى تقول إنهن حاصلات عليها .

لورد النجورث — تاريخ المرأة هو تاريخ لأشنع أنواع

الاستبداد الذى عرفه العالم : استبداد الضعيف بالقوى ، وهو الاستبداد الوحيد الذى سوف يبقى .

جيرالد — ولكن أليس للنساء تأثير تهذيبى ؟

لورد النجورث — ليس ثمة مايهذب سوى الذكاء .

جيرالد — ومع ذلك فهناك أنواع مختلفة من النساء ، أليس كذلك ؟

لورد النجورث — ليس فى المجتمع غير نوعين : المرأة العادية والمرأة المبهرجة .

جيرالد — ولكن يوجد فى المجتمع نساء صالحات ، أليس كذلك ؟

لورد النجورث — يوجد منهن أكثر مما يجب .

جيرالد — أو ترى أنه لا يجب على المرأة أن تكون صالحة طيبة ؟

لورد النجورث — لا يجب علينا أن نقول ذلك ، وإلا أصبحنا جميعاً فى الحال نساء طيبات ، فجنسهن صلب الرأى

بصورة جذابة مغرية . كل امرأة ثائرة ، وثورتها فى العادة ثورة جامحة ضد نفسها .

جيرالد — ألم تتزوج قط يالورد النجورث ؟

لورد النجورث ـ يتزوج الرجال لأنهم متعبون ، أما النساء فيتزوجن لأنهن فضوليات ، وكلاهما يمنى بخيبة الأمل .

جيرالد — ألا تظن أنه يمكن للمرء أن يكون سعيداً حين يكون متزوجاً ؟

لوردالنجورث ـ فى تمام السعادة . ولـكن سعادة الرجل المتزوج تتوقف ، ياعزيزى جيرالد ، على اللواتى لم يتزوجهن .

جيرالد ـ ولـكن إذا كان مغرماً بامرأة ؟

لورد النجورث ـ يجب أن يكون مغـرماً على الدوام ، وهذا هو السبب الذى يحدوه بألا يتزوج .

جيرالد ـ الحب شىء عجيب ساحر ، أليس كذلك ؟

لورد النجورث ـ الانسان عند مايعشق ، يبدأ بغش نفسه ثم ينتهى بغش غيره ، وهذا ما يسميه العـــالم قصة غرام ،

ولكن الحب العظيم الحقيقى نادر نسبيا فى هذه الأيام . إنه ميزة يتمتع بها أولئك الذين ليس لديهم ما يعملون . وهذا هو النفع الوحيد الذى للطبقات الخاملة فى الأمة ، والتفسير الوحيد لوجودنا نحن آل هارفورد .

جيرالد ـ أتقول هارفورد ، يالورد إلنجورث ؟

لورد إلنجورث ـ ذلك هو اسم أسرتى . يجب أن تدرس أنساب الأشراف ياجيرالد ، إنه الكتاب الوحيد الذى يجب أن يلم به إلماماً تاماً كلُ شاب أنيق خامل ، وهو أحسن مؤلف خيالى وضعه الإنجليز.. والآن ياجيرالد سوف تطرق معى حياة جديدة تماماً بالنسبة لك ، وأريد أن تعرف كيف يجب أن تعيش . (تشاهد مسز أر وثنط خلفهما على الشرفه) ذلك أن العالم صنع بأيدى الحمقى ليسكنه العقلاء (تدخل ليدى هنستانتن ودكتور دوبى من الركن الأيسر)

ليدى هنستانتن ـ عجباً ... هو ذا أنت ياعزيزى لورد النجورث ! لعلك وأنت تستمتع بتدخين سجائرك النفيسة كنت تطلع صديقنا الشاب ، جيرالد ، بماهية واجباته الجديدة وتزوده بقدر كبير من النصائح الغالية .

لورد النجورث — كنت أمده ياليدى هنستانتن بأحسن النصائح وأفخر السجائر .

ليدى هنستانتن — يؤسفنى أنى لم أكن حاضرة معكما لأصغى إلى ما كنت تقول ، ولكن يخيل إلىّ أنى فى سن كبيرة لاتؤهلنى للتعلم إلا منك أنت أيها القس العزيز حين تقف لتخطب على منبرك الجميل . على أنى أعرف دائماً ما أنت قائله ، ولذلك لا أشعر بوجل . (تشاهد مسز أربوثنط) عزيزتى مسز أربوثنط ! تفضلى بالانضمام الينا ، تفضلى ياعزيزتى (تدخل مسز أربوثنط) كان جيرالد منغمساً فى حديث طويل مع لورد النجورث . أنا واثقة بأنك تشعرين بالزهو للطريقة اللطيفة التى انتهت اليها الأمور بالنسبة له . لنجلس ! (يجلسون). وكيف حال شغل الإبرة الجميل الذى دأبت عليه !

مسز أربوثنط — إنى دائبه عليه ياليدى هنستانتن .

ليدى هنستانتن — مسز دوبنى أيضا تشتغل بالإبرة ، أليس كذلك ؟

الأرتشديكن — كانت فى يوم من الأيام حاذقة فى شغل الإبرة، حذق غزالة [1] فيه، ولكن داء النقرس شلّ أصابعها جداً، فلم تمسك إطار التطريز منذ تسع أوعشر سنوات. على أن لديها أشياء أخرى كثيرة تلهيها، فإنها كثيرة الاهتمام بصحتها.

ليدى هنستانتن — الصحة ملهاة جميلة دائماً، أليست كذلك؟ والآن يالورد النجورث، فيمَ تتحدث؟ بالله عليك خبِّرنا.

لورد النجورث — كنت قد بدأت أوضح له أن العالم يسخر دائماً من مآسى الحياة، وأن سخريته هذه كانت الوسيلة الوحيدة التى مكّنته من تحمّلها، وأنه ترتب على ذلك، أن جميع المسائل التى عالجها العالم معالجة جدية تنتمى إلى الجانب الهزلى منه.

ليدى هنستانتن — أنا الآن عاجزة عن فهم أى شىء،

---

[1] إشارة إلى غزالة التى ذكرتها التوراة (راجع أعمال الرسل ٩ : ٣٩) والتى اشتهرت فى صدر المسيحية بحدبها على الفقراء وصنع الثياب لهم — المترجم.

وهذه دائماً حالى حين يتفوه لورد النجورث بأى شىء ، وها هى ذى جمعية الرحمة فى أشد حالات إهمالها ، فهى لا تخف لإنقاذى ، بل تتركنى أهوى إلى القاع . ولدى فكرة غامضة عنك يالورد النجورث وهو أنك تقف دائماً إلى جانب الآثمين ، وأنا أعرف أنى أحاول دائماً الوقوف إلى جانب القديسين ، ولكن هذا أبعدما أصل إليه ، على أن هذا قد لا يتعدى أن يكون خيال شخص مشرف على الغرق .

لورد النجورث — الفرق الوحيد بين القديس والأثيم هو أن كل قديس له ماض ، أما كل أثيم فله مستقبل .

ليدى هنستانتن ــ هذا يكفينى تماماً ؛ وليس لدى ما أقول ، أنا وأنت يا مسز أربوثنط من جيل آخر مضى زمنه ، ولذلك عجزنا عن فهم ما يقوله لورد النجورث ، وأخشى أن يكون تعليمنا قد لقى كثيراً من الاهتمام من ذوينا . والتربية فى هذه الأيام سَوْءَةٌ لصاحبها ، فهى تمنع عنه مزايا كثيرة .

مسز أربوثنط ــ لو طُلِبَ الىّ أن أتّبع لورد النجورث فى أى رأى من آرائه لكان ذلك أمراً مؤسفاً لى .

ليدى هنستانتن ـ أنت محقة جداً ياعزيزتى (جيرالد يهز كتفيه ، ويلقى على أمه من ورائها نظرة تنم عن الضيق . تدخل ليدى كارولين)

ليدى كارولين ـ ألم يقع نظرك على جـون فى أى مكان يا جين ؟

ليدى هنستانتن ـ لا حاجة بك إلى القلق عليه يا عزيزتى، فهو فى صحبة ليدى ستتفيلد ، رأيتهما منذ لحظـة فى قاعة الاستقبال الصفراء ، ويبدو أنهما سعيدان جداً بوجودهما معاً. أذاهبة أنت يا كارولين ؟ اجلسى بربك !

ليدى كارولين ـ أظن أنه يجدر بى أن أعنى بجون (تخرج ليدى كارولين)

ليدى هنستانتن ـ لا يليق أن نوجه إلى الرجال كل هـذا الاهتمام،وليس مايدعو كارولين إلى القلق ، فإن ليدى ستتفيلد امرأة عطوفة ، تمنح عطفها لهـذا الشىء كما تمنحه لذاك ، إنها حسنة الطوية (يدخل سيرجون ومسز ألونبى) ها هو ذا سيرجـون ! وبصحبة مسز ألونبى أيضا . لعلها مسز الونبى

التى رأيته بصحبتها . إن ليدى كارولين ما زالت تبحث عنك فى كل مكان ياسيرجون !

سيرجون — كنا ننتظرها فى قاعة الموسيقى ياعزيزتى ليدى هنستانتن .

ليدى هنستانتن ـ هذا صحيح! فى قاعة الموسيقى بلاشك. ظننت الانتظار فى قاعة الاستقبال الصفراء . يا لذاكرتى المختلة ! (لشيخ الكنيسة) لمسز دوبنى ذاكرة عجيبة ، أليس كذلك ؟

الأرتشديكن — اشتهرت بذاكرتها فى الماضى، ولكنها منذ إصابتها الأخيرة لاتذكر إلا أحداث السنين الأولى من طفولتها ، ولكنها تجد لذة كبرى فى استعادة الماضى ، لذة كبيرة جدا . (تدخل ليدى ستنفيلد ومستر كلفل)

ليدى هنستانتن ـ وفيم كان مستر كلفل يحدثك ياعزيزتى ليدى ستنفيلد ؟

ليدى ستنفيلد ـ عن التعامل النقدى على أساس معدنين ، فيما أذكر .

ليدى هنستانتن ـ التعامل على أساس المعدنين ؟ وهل هذا موضوع يستساغ التحدث فيه ؟ ولكنى أعرف أن الناس فى هذه الأيام يتحدثون عن أى موضوع وبكل صراحة . وعمَّ كان سير جون يحدثك ياعزيزتى مسز ألونبى ؟

مسز ألونبى ـ عن باتاجونيا [١] .

ليدى هنستانتن ـ حقا تقولين ؟ ما أبعده موضوعا عن الفكر ! ولكنه مفيد بلا شك .

مسز ألونبى ـ كان حديثه عن باتاجونيا شائقاً جداً . ويظهر أن المتوحشين يُبْدون فى جميع الموضوعات تقريباً الآراء ذاتها التى يبديها المثقفون ، مما يدل على أنهم متقدمون كثيراً .

ليدى هنستانتن ـ وما هى الأعمال التى يقومون بها ؟

مسز ألونبى ـ أى عمل على ما يبدو .

ليدى هنستانتن ـ أليس من دواعى السرور للنفس

---

(١) إقليم متأخر من أقاليم امريكا الجنوبية يشمل الجزء الجنوبى من الأرجنتين وشيلى — المترجم .

أيها الأرتشديكن العزيز أن نجد أن الطبيعة البشرية واحدة على الدوام؟ فالعالم بوجهة عامة، عالم واحد، أليس كذلك؟

لورد النجورث ـ إنما العالم مقسم إلى طبقتين: الذين يصدقون مالا يصدق، كالجماهير، والذين يفعلون مالا يتوقع.

مسز ألونبي ـ مثلك؟

لوردالنجورث ـ نعم، إنى دائماً آتى من الأعمال ماأدهش له أنا نفسى، وهذا هو الشيء الوحيد الذى يجعل للحياة قيمة.

ليدى ستتفيلد ـ وماهى الأعمال التى أديتها حديثاً، وكانت مثاراً لدهشتك؟

لورد النجورث — اكتشفت فى طبيعتى خصالا جميلة من شتى الأنواع.

مسز ألونبي — بالله عليك لاتنقلب رجلا كاملا مرة واحدة، افعل هذا بالتدريج!

لورد النجورث ـ ليس فى نيتى قط أن أصبح كاملا. أرجو على الأقل ألا أصبح ذلك، وإلا سبب لى ذلك متاعب كثيرة، فالنساء يغرمن بنا لعيوبنا، وإذا كان لدينا الكفاية

من هذه العيوب ، فإنهن يغفرن لنا كل شيء حتى عقولنا الجبارة .

مسز ألونبي ــ إنه لأمر سابق لأوانه أن تطلب إلينا أن نغفر لك تحليلك للأشياء . إننا نغفر للرجال تعلقهم بنا إلى حد العبادة، وهذا هو القدر الذي يجب أن يُنتظر منا ، وهو كثير . (يدخل لورد ألفرد ، وينضم إلى ليدى ستتفيلد)

ليدى هنستانتن ــ بل علينا نحن النساء أن نغفر كل شيء ، أليس كذلك ياعزيزتى مسز أربوثنط . إنى واثقة من أنك تتفقين معى فى هذا !

مسز أربوثنط ــ لا أوافق ياليدى هنستانتن . أرى أن هناك أشياء كثيرة لايجب على المرأة أن تغفرها أبداً .

ليدى هنستانتن ــ وما هى ؟

مسز أربوثنط ــ تدمير حياة امرأة أخرى (تنتقل ببطء إلي مؤخر المسرح) .

ليدى هنستانتن ــ لا شك أن هذه الأمور تدعو إلى الأسى، ولكننى أعتقد أن هناك بيوتاً نافعة ، يعنى فيها بهذا

الصنف من النساء فيصلحن . وأرى بوجه عام أن سر الحياة هو أخذ الأمور فى بساطة حقيقية ويسر .

مسز ألونبي — سر الحياة هو ألاّ تصدر عنا أبداً عاطفة لا تليق .

ليدى ستتفيلد — سر الحياة هو أن نقدر السرور الذى نشعر به حين نُخدع خداعاً مراً ، مراً جداً .

كلفل — سر الحياة يا ليدى ستتفيلد ، هو أن نقاوم الإغراء .

لورد النجورث — ليس للحياة سر . إن هدف الحياة ، إنْ وُجِدَ ، هو أن نبحث دائماً عن المغريات ، فليس لنا فيها ما يكفى ، وإنه ليمضى علىّ اليوم كله أحياناً دون أن أعثر على إغراء واحد ، وهذا أمر مرعب ، يجعل الإنسان قلقاً على المستقبل .

ليدى هنستانتن — (تحرك مروحتها نحوه) لا أدرى يا عزيزى النجورث لماذا أرى أن كل شىء قلته اليوم يبدو لى خروجاً كبيراً على قواعد الأخلاق . لقد كان الاستماع إليك أمراً شيقاً .

لورد النجورث ـ الفكر كله خروج على الأخلاق ، إن جوهره التدمير ، فإنْ أنتِ فكرت فى شيء تقولينه ، لن يبقى على قيد الحياة شيء تُخْضعينه للفكر .

ليدى هنستانتن ـ لاأفهم كلمة مما قلت يالورد النجورث ولكن لا شك عندى فى صدقه كله . وأنا شخصياً ، ليس لى ما ألوم نفسى عليه فيما يتعلق بمسألة التفكير . فأنا لاأعتقد أن على النساء أن يفكرن كثيرا ، بل عليهن أن يفكرن فى اعتدال ، كما يجب أن يعملن كل شيء فى اعتدال .

لورد النجورث — الاعتدال أمر قاتل يا ليدى هنستانتن ... لا ينجح شيء كالإفراط .

ليدى هنستانتن ـ أرجو أن أتذكر هذا القول . إن وقعه على أذنى كوقع المثل الحكيم . ولكنى بدأت أنسى كل شيء ، وهذه نكبة كبيرة .

لورد النجورث ـ إنه إحدى فضائلك الفاتنة ، يا ليدى هنستانتن . ليس للمرأة أن تتذكر ، فالذاكرة فى المرأة بداية

الرثاثة ، وإنك لتستطيعين من نظرة واحدة إلى قبعة المرأة معرفة هل هى قوية الذاكرة أم لا .

ليدى هنستانتن - إنك لساحر يا عزيزى النجورث . إنك لتكتشف دائماً أن أشنع هفوات الإنسان هى أكثر فضائله أهمية . آراؤك عن الحياة فيها أكبر تعزية للإنسان

(يدخل فاركار)

فاركار - وصلت عربة الدكتور دوبنى .

ليدى هنستانتن - عزيزى الأرتشديكن ! لا زلنا فى الساعة السابعة والنصف .

الأرتشديكن - (ينهض) أخشى أن أقول ياليدى هنستانتن إنى مضطر للذهاب - الثلاثاء هو دائماً اليوم الذى تجد فيه مسز دوبنى شر الليالى .

ليدى هنستانتن - إذن لن أحول بينك وبين الذهاب إليها (ترافقه إلى الباب) . أوصيت فاركار أن يضع زوجاً من الدجاج الحجل فى عربتك لعلهما يروقان لمسز دوبنى .

الأرتشديكن - هذا لطف كبير منك ، ولكن مسز

دوبنى لاتمس الأطعمة الجافة الآن ، وتعيش على المربيات فقط ، وهى بالرغم من ذلك مرحة بصورة عجيبة . إنها لا تشكو شيئاً . (يخرج مع ليدى هنستانتن) .

مسز ألونبى ـ (تتجه صوب لورد إلنجورث) القمر الليلة جميل رائع .

لورد النجورث ـ لنخرج ونراه ... فى النظر إلى الأشياء المتقلبة سحر هذه الأيام .

مسز ألونبى ـ لديك مرآتك .

لورد إلنجورث ـ إنها قاسية ، إذ لاترينى إلا تجاعيدى.

مسز ألونبى ـ أما مرآتى فسلوكها معى أفضل ، إنها لاتقول الصدق أبداً .

لورد النجورث ـ إذن فهى تحبك (يخرج سيرجون وليدى ستنفيلد ومستر كلفل ولورد ألفرد) .

جيرالد ـ (مخاطباً لورد النجورث) : هل يمكننى أن آتى أيضاً .

لورد إلنجورث ـ افعل ياعزيزى (يتجه نحو الباب

بصحبة مسز ألونبي وجيرالد) . (تدخل ليدى كارولين ـ تنظر حولها فى عجالة ثم تخرج فى اتجاه مضاد للاتجاه الذى اتخذه سيرجون وليدى ستنفيلد)

مسز أربوثنط ـ جيرالد !

جيرالد ـ ماذا يا أماه ؟ (يخرج لورد النجورث مع مسز ألونبى .

مسز أربوثنط — لقد تأخرنا ، لنذهب إلى المنزل .

جيرالد — بربك يا أماه دعينا ننتظر فترة أخرى . لورد النجورث رجل ممتع . لقد ذكرنى الكلام عنه بمفاجأة كبرى لك ... سنذهب إلى الهند فى نهاية هذا الشهر .

مسز أربوثنط — لنذهب إلى البيت .

جيرالد — إذا كان لابد أن تذهبى يا أماه ، فلنفعل ، ولكنى يجب أن أذهب لأودع لورد النجورث أولاً ، وسأعود إليك بعد خمس دقائق (يخرج) .

مسز أربوثنط — ليفارقنى إذا رغب فى ذلك ، ولكن لا ليذهب معه ، لا ليذهب معه . لا أطيق الصبر على ذلك .
(تقطع المكان ذهابا وإيابا) (تدخل هستر)

هستر — ما أجمل هذه الليلة يا مسز أربوثنط ؟

مسز أربوثنط — هل هي جميلة ؟

هستر — لنصبح صديقتين يامسز أربوثنط. إنك تختلفين كثيراً عن النساء الأخريات هنا ، فعندما دخلت إلى غرفة الاستقبال هذا المساء شعرت كأنك جئت معك بشيء مما في الحياة من معانى الطيبة والطهر . لقد كنت حمقاء. هنالك أشياء يجدر بالإنسان أن يقولها ، وإنْ وُجِّهت في وقت غير مناسب ، ولقوم غير القوم الذين يجب أن تُوجَّه إليهم .

مسز أربوثنط — سمعت ما قلت ، وأنا أوافقك عليه يامس ورزلى .

هستر — لم أكن أعرف أنك سمعت ماقلت ، ولكنى كنت أعرف أنك سوف تتفقين معى . المرأة التى أثمت يجب أن تنال عقابها . أليس كذلك ؟

مسز أربوثنط — نعم .

هستر — ولا يجب عليها أن تختلط بالأخيار من الرجال والنساء ؟

مسز أربوثنط — لا يجب عليها ذلك .

هستر — ويجب أن ينال الرجل العقاب ذاته ؟

مسز أربوثنط — العقاب ذاته...والأولاد أيضاً ، إنْ وُجِدوا ، هل يجب أن ينالوا العقاب ذاته أيضاً ؟

هستر ــ نعم ... فإنه من العدل أن تفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء (١) . فهذا قانون عادل . إنه شريعة الله .

مسز أربوثنط — إنه إحدى الشرائع المريعة !!

(تبتعد نحو المدفأة) .

هستر — هل أنت حزينة على ابنك لفراقه لك ، يامسز أربوثنط ؟

مسز أربوثنط — نعم .

هستر — أتحبين أن يذهب مع لورد النجورث ؟ هناك بلا شك المركز والمال ، ولكن هل المركز والمال هما كل شىء فى الحياة ؟

---

(١) أى أن يحمل الأبناء وزر الآباء، وقد اقتبس المؤلف النص الذى جاء فى سفر الخروج ص٢٠ : ٥ من التوراه — المترجم .

مسز أربوثنط — هما لاشىء ، بل يجّران الشقاء .

هستر — لِمَ إذن تدعين ابنك يذهب معه ؟

مسز أربوثنط — هو الذى يريد ذلك .

هستر — ولكن إذا طلبت إليه أن يبقى معك، ألا يفعل؟

مسز أربوثنط — لقد وطد العزم على الذهاب .

هستر — إنه لا يرفض لك طلباً ، فإنه يحبك حباً جماً . اطلبى إليه أن يمكث . دعينى أرسله إليك هنا . إنه الآن فى الشرفة مع لورد النجورث . سمعتهما يضحكان معاً ، بينما كنتُ مارةً فى قاعة الموسيقى .

مسز أربوثنط — لا تكبدى نفسك مشقة ذلك يامس ورزلى . يمكننى الانتظار ، فضلاً عن أنى لا أتوقع نتيجة من ذلك .

هستر — لا . سأخبره أنك فى انتظاره ، فلتسأليه أن يبقى . (تخرج هستر)

مسز أربوثنط — لن يأتى . أعرف أنه لن يأتى .

(تدخل ليدى كارولين — تجيل النظر حولها فى قلق — يدخل جيرالد)

ليدى كارولين — هل لى أن أسألك يامسز أربوثنط .
هل ذهب سير جون إلى الشرفة ؟

جيرالد — لا ، يا ليدى كارولين ، إنه ليس فى الشرفة .

ليدى كارولين — أمر غريب . لقد آن له أن يذهب إلى فراشه . (تخرج ليدى كارولين) .

جيرالد — أخشى أن أكون تركتك تنتظرين يا أماه .
نسيت أنك تنتظرينني . أنا سعيد جداً الليلة يا أماه ، لم أسعد قط فى حياتى مثل سعادتى هذه الليلة .

مسز أربوثنط — للسفر الذى ينتظرك ؟

جيرالد — لا تنظرى إلى المسألة هذه النظرة يا أماه .
يؤسفنى أن أفارقك بالطبع ، فإنك خير الأمهات فى هذه الدنيا ، ولكن على كل حال ، من المستحيل أن أعيش فى مكان مثل روكلى كما يقول لورد النجورث . وذلك لا يضيرك . وأنا طموح ، أريد شيئا أكثر من روكلى . أريد

أن يكون لى عمل يبشر بمستقبل . أريد أن أؤدى عملاً يجعلك فخورةً بى ... ولورد النجورث على استعداد لمساعدتى . إنه سوف يفعل كل شيء لأجلى .

مسز أربوثنط — لا تذهب مع لورد النجورث يا جيرالد. أتوسل إليك ألا تفعل يا جيرالد .

جيرالد ـ أماه ، إنك سريعة التقلب! يبدو أنك لا تستقرين على رأى لحظة واحدة ، فمنذ ساعة ونصف ـ ونحن فى قاعة الاستقبال ـ وافقت على كل شيء ، والآن تعودين لتقيمى الاعتراضات وتحاولين أن تجبرينى على التخلى عن الفرصة الوحيدة التى واتتنى فى الحياة . أجل فرصتى الوحيدة . أو لعلك تظنين أن رجالاً مثل لورد النجورث يجدهم الإنسان كل يوم ، أتظنين ذلك يا أماه ؟ إنه لأمرٌ غريب أن تكون أمى حين يواتينى الحظ السعيد ، هى الشخص الوحيد الذى يقيم الصعاب فى وجهى . واعلمى أيضاً يا أماه أنى أحب هستر ورزلى ، ومَنْ ذا الذى يستطيع أن يسلو حبها ... أحبها إلى درجة تفوق كل ما قلته لك عنها ، تفوقه جداً . ومتى كان

لى مركز ، ومتى كانت أمامى فسحة من الآمال ، فعندئذ أستطيع . . . أستطيع أن أطلب إليها أن . . . ألا تدركين الآن يا أماه ، ماذا يعنى لى قبولى عمل سكرتير لورد النجورث ؟ فعندما يبدأ الإنسان بداية كهذه ، يجد أمامه مستقبلا معدًّا له ، يجد عملا ينتظره . وإذا أصبحت سكرتيرا للورد النجورث استطعت أن أطلب إلى هستر أن تقبلنى زوجا ، أما أن أطلب إليها ذلك وأنا موظف بائس يتقاضى مائة جنيه فى العام فوقاحة وجرأة منى.

مسز أربوثنط — أخشى ألا تكون فى حاجة إلى أن تعقد الآمال على مس ورزلى ، فإنى أعرف آراءها فى الحياة . لقد صرحت لى بها منذ لحظة (سكون)

جيرالد — يبقى لى اذن مطمحى على أية حال ، وهذا لا بأس به، ويسرنى أن يكون فى متناولى. لقد دأبت على تدمير مطمحى هذا يا أماه ، أليس كذلك؟ . قلت لى إن العالم مكان حافل بالشرور ، وإن النجاح لا يستحق منا الجهد للحصول عليه ، وإن المجتمع تافه إلى غير ذلك من الأقوال ، فاعلمى يا أماه أنى لا أصدق ذلك . أعتقد أن العالم لا بد وأن يكون بهيجاً ،

وأرى أن المجتمع لابد أن يكون رائعاً، والنجاح يستحق منا الجهد للفوز به، كنتِ مخطئة فى كل ماقلتِه لى ياأمى... مخطئة تماماً، فلورد النجورث رجل ناجح، وهو من الطراز الحديث... إنه رجل يعيش فى دنيانا ولها. وإنى لمستعد أن اتنازل عن أى شيء نظير أن أصبح مثله تماما.

مسز أربوثنط — لخير لى قبل أن تصبح مثله أن أراك ميتاً.

جيرالد — وما هو اعتراضك على لورد النجورث يا أماه؟ أخبرينى. أخبرينى الآن. ما هو اعتراضك؟

مسز أربوثنط — إنه رجل شرير.

جيرالد — وفيمَ كان شره؟ لا أفهم ما تعنين.

مسز أربوثنط — لأخبرنك بالأمر.

جيرالد — يخيل إلى أنك ترينه شريراً لأنه لا يعتنق الآراء ذاتها التى تعتنقينها. الرجال يختلفون عن النساء يا أماه، وإنه لأمر طبيعى أن تكون لهم آراء مختلفة.

مسز أربوثنط — إن شرور لورد النجورث لا علاقة

لها بما يعتقد أو بما لا يعتقد ، بل بما هي حقيقته .

جيرالد — أماه ، هل الأمر يتعلق بشيء تعرفينه عنه ... شيء تعرفينه عن يقين ؟

مسز أربوثنط — إنه يتعلق بشيء أعرفه .

جيرالد — أهو شيء أنت واثقة منه ؟

مسز أربوثنط ـ واثقة جداً .

جيرالد ـ وإلى أي زمن ترجع معرفتك بهذا الشيء ؟

مسز أربوثنط ـ إلى عشرين سنة .

جيرالد ـ هل من العدل أن نعود إلى عشرين سنة مضت في حياة الانسان؟وما علاقتك أوعلاقتي بحياة لوردالنجورث الأولى ؟ ما شأننا بذلك ؟

مسز أربوثنط ـ إن ما كانه ، هو كائنه وسيكونه على الدوام .

جيرالد ـ أخبريني ياأماه عما فعلهلوردالنجورث ، فلو أن مافعله كان شيئاً معيباً لأحجمت عن الذهاب معه ، وأنت

بلاشك تعرفينني المعرفة الكافية... تعرفين أنى سوف أفعل ذلك.

مسز أربوثنط ـ اقترب منى يا جيرالد. اقترب منى جداً كما كنت تفعل فى نعومة أظفارك، حين كنت الولد الوحيد لأمه (يجلس جيرالد إلى جانب أمه، بينما تداعب أصابعها شعر رأسه وتلاطف يداها يديه). جيرالد ـ كان هناك ذات يوم فتاة شابة، التقى بها جورج هارفورد، وهو الاسم الذى كان يعرف به فى ذلك الوقت لورد النجورث، وكانت سنها حينئذ تزيد قليلاً على الثامنة عشرة، ولم تكن الفتاة تدرى شيئا عن الحياة، أما هو فكان بالحياة خبيراً. أغراها على حبه فأحبته حباً جعلها تهجر بيت أبيها ذات صباح وتذهب معه. كانت تحبه جداً، وكان قد وعدها بالزواج... وعدها وعداً جليلاً وصدقته. وكانت صغيرة السن جداً وتجهل حقيقة الحياة، وجعل يؤجل الزواج أسبوعاً بعد أسبوع، وشهراً بعد شهر، وهى مازالت على ثقتها به لأنها كانت تحبه. وقبل أن تضع طفلها ـ فقد كان لها منه طفل ـ توسلت إليه، من أجل الطفل أن يعقد عليها، حتى يطلق

على الطفل اسم شرعى، وحتى لا يحمل طفلها وزرها وهو البرىء
من كل ذنب، فرفض. فلما ولد الطفل هجرته، حاملةً معها صغيرها.
دُمِّرت حياتها وانكسرت روحها وانهار أيضاً كل ما كان فى
نفسها من معانى اللطف والطيبة والطهر. لقد قاست بمرارة، وهى
مازالت تقاسى الآن، وستظل تقاسى. ليس لها أن تفرح أو تنعم
بالسلام أو تكفِّر عن زلتها. إنها تسير وهى تجر معها أغلالها كمن
أجرم، إنها امرأة تلبس قناعاً كمن به بَرَص. حتى النار
لا تستطيع أن تطهرها، ولا المياه بمستطيعة أن تطفىء
أوار شجنها. لا شىء يستطيع أن يبرئها. وليس من دواء
يُذْهِبُ عنها الأرق، أو مخدر يهبها النسيان. انها امرأة ضائعة،
فقد فقدت نفسها، وهذا ما جعلنى أدعو لورد النجورث بالرجل
الشرير. ولهذا السبب لا أرغب فى أن يذهب ابنى معه.

جيرالد ـ إن القصة تبدو كمأساة يا أماه، ولكنى أستطيع
أن أقول إن الذنب ذنب الفتاة كما هو ذنب لورد النجورث،
وعلى أية حال، هل تقبل فتاة طيبة حقاً، فتاة لها مشاعر طيبة
أن تهجر بيتها مع رجل لم يعقد عليها وتعيش معه كما تعيش

الزوجة ؟ لا يمكن أن تقبل فتاة طيبة هذا الوضع .

مسز أربوثنط ـ (بعد فترة من السكون) إنى أسحب جميع اعتراضاتى يا جيرالد ، أنت حر فى أن تذهب مع لورد النجورث متى شئت ، وأيان رغبت ؟

جيرالد ـ كنت أعرف يا والدتى العزيزة أنك لن تقفى فى طريقى ، إنك خير امرأة صنعها الله . أما عن لورد النجورث فلست أظن أنه قادر على أن يأتى أى عمل شائن أو وضيع . لا يمكننى أن أصدق ذلك عنه ، لا يمكننى .

هستر ـ (من الخارج) دعنى أذهب ! دعنى أذهب (تدخل هستر مروّعة ، وتندفع نحو جيرالد فتلقى بنفسها فى أحضانه) أنقذنى — أنقذنى منه .

جيرالد ـ ممن ؟

هستر ـ لقد أهاننى ، أهاننى إهانة مريعة ! أنقذنى !

جيرالد ـ مَنْ ؟ مَنْ تجرأ ؟ (يدخل لورد النجورث من خلف المسرح . . . تشير هستر إليه بعد أن تفلت من بين ذراعى جيرالد) .

جيرالد ـ (لا يملك نفسه وهو يتميز من الغيظ والسخط)
لورد النجورث ، لقد أهنت أطهر مخلوق على الأرض صنعها الله ، مخلوقاً فى طهارة أمى ، أهنت المرأة التى أكن لها ولأمى أعظم حب فى العالم . بحق الإله الذى فى السموات ، لأقتلنك !

مسز أربوثنط ـ (تقطع المكان مندفعه نحوه وتمسك به) لا! لا!

جيرالد ـ (يدفعها إلى الخلف) لا تمنعينى يا أماه . لا تمنعينى ـ سأقتله !

مسز أربوثنط ـ جيرالد !

جيرالد ـ دعينى ، أقول لك !

مسز أربوثنط ـ قف يا جيرالد ، قف ! إنه أبوك !

(يمسك جيرالد يدى أمه ويتأمل وجهها ، وتتهاوى هى إلى الأرض فى عارها ، وتنسل هستر نحو الباب . أما النجورث فيتجهم وجهه ويعض على شفتيه . وتمضى فترة يرفع بعدها جيرالد أمه من الأرض ويطوقها بذراعيه ، ثم يقودها خارج الحجرة) .

(يسدل الستار على الفصل الثالث)

الفصل الرابع

المشهد — غرفة الجلوس فى منزل مسز أربوثنط ويرى فى المؤخرة باب يفتح علي الشرفة ويطل علي الحديقة ، وباب على الركن الأيمن وآخر على الركن الأيسر من المسرح .

(يشاهد جيرالد أربوثنط وهو يكتب على منضدة)

(تدخل اليس من الباب على الركن الأيمن تتبعها ليدى هنستانتن ومسز ألونبى)

أليس — ليدى هنستانتن ومسز ألونبى (تخرج من الباب فى الركن الأيسر) .

ليدى هنستانتن — أسعدت صباحاً ياجيرالد .

جيرالد (ينهض) أسعدت صباحاً يا ليدى هنستانتن . أسعدت صباحاً يا مسز ألونبى .

ليدى هنستانتن ـ (تجلس) جئنا نستفسر عن صحة والدتك العزيزة ياجيرالد . لعلها فى حال أفضل ؟

جيرالد — والدتى لم تنزل من حجرتها بعد ، ياليدى هنستانتن .

ليدى هنستانتن — أخشى أن حرارة الجو ليلة أمس كانت فوق احتمالها . يخيل إلى أن الهواء كان بلا شك مليئاً بالرعد ، أو لعلها الموسيقى ، فهى تجعل الانسان يشعر بطغيان العاطفة ، أو هى على الأقل تثير أعصابه .

مسز ألونبى ـ والحال كما هى هذه الأيام .

ليدى هنستانتن ـ يسرنى ياعـــزيزتى ألاّ أدرك معنى قولك . وأخشى أن يكون ماتعنيه شيئاً خاطئاً . عجباً ! أراك تفحصين حجرة مسز أربوثنط الجميلة . أليست جميلة وقديمة الطراز ؟

مسز ألونبى ـ (تتأمل الحجرة من وراء نظارتها) يبدو عليها أنها تمثل البيت الانجليزى السعيد .

ليدى هنستانتن ـ لقد استعملت الكلمة المناسبة ووصفتها الوصف الصحيح . إن الانسان ليشعر بالتأثير الذى تتركه والدتك فى كل شىء حولها ياجيرالد .

مسز ألونبى ـ يقـول لورد إلنجورث إن كل أثر يتركه

الإنسان حوله سيء ، الأثر الطيب هو أردأ التـأثيرات في العـالم .

ليـدى هنستانتن ـ عندما يعرف لورد النجورث مسز أربوثنط معرفة أفضل ، سيغير رأيه . . . سوف أحضره إلى هنا بلا شك .

مسز ألونبي ـ أحب أن أرى لورد النجورث في بيت انجليزي سعيد .

ليدى هنستانتن ـ سوف يفيده ذلك جداً ياعزيزتي . يبدو أن معظم نساء لندن لا يزودن بيوتهن في هذه الأيام إلا بزهر الأوركيد والأجانب والقصص الفرنسية . ولكننا نجد هنا حجرة لقديسة لطيفة ، زهوراً طبيعية نضرة ، كتبا لاتخجل الإنسان وتصدمه ، وصوراً يستطيع الإنسان أن يتأملها دون أن يحمر خجلاً .

مسز ألونبي ـ ولكنى أحب أن أحمر خجلاً .

ليدى هنستانتن ـ يمكن أن يقال الشيء الكثير دفاعاً عن الخجل إذا استطاع الإنسان أن يحمر في اللحظة المناسبة .

لقد اعتاد عزيزى هنستانتن المسكين أن يقول لى : إنى لم أكن أحمر خجلاً فى مناسبات كثيرة بالقدر الكافى . ولكنه كان كثير التدقيق ، فلم يكن يسمح لى بالتعرف إلى أصدقائه من الرجال إلاّ الذين تخطوا السبعين ، أمثال لورد أشتن المسكين الذى يذكرنى اسمه بالقضية التى أقيمت ضده فى محكمة الطلاق، وكانت قضية يؤسف لها .

مسز ألونبى ــ يبهجنى الرجال فوق السبعين ، إنهم يمنحون الواحدة منا إخلاص حياة كاملة. أظن السبعين سِناً مثالية للرجل.

ليدى هنستانتن ــ أظنك غير قابلة للإصلاح ؟ أليس كذلك ياجيرالد ... وبهذه المناسبة ياجيرالد ، أرجو أن تأتى والدتك لتزورنى الآن أكثر من ذى قبل فإنك ستبدأ عملك مباشرة أنت ولورد النجورث . أليس ذلك ؟

جيرالد ــ عدلت عن نيتى فى أن أصبح سكرتيراً للورد النجورث .

ليدى هنستانتن ــ لست جاداً ياجيرالد ! ليس ذلك من الحكمة فى شىء . وما السبب الذى يمكن أن يكون لديك ؟

جيرالد ـ اعتقادى بأنى لن أكون مناسباً لهذا العمل .

مسز ألونبى ـ تمنيت أن يطلب لورد النجورث إلىّ أن أكون سكرتيرته ، ولكنه يقول إنى لست جادة بما فيه الكفاية .

ليدى هنستانتن ـ لا يجب أن تتفوهى بأمثال هذا الكلام فى هذا البيت ياعزيزتى . فمسز أربوثنط لا تعرف شيئاً عن المجتمع الشرير الذى نحيا فيه جميعاً . ولن تدخل فيه . إنها غاية فى الطيبة . وأعدّ زيارتها لى ليلة أمس شرفاً عظيما ، فإنها أضفت على الحفل جواً من الاحترام .

مسز ألونبى ـ إذن لابد أن يكون هذا هو ما كنت تظنينه رعداً فى الهواء .

ليدى هنستانتن ـ كيف تقولين هذا ياعزيزتى ؟ ليس هناك تشابه بين الهواء والرعد . ولكن ماذا تعنى ياجيرالد بقولك إنك لاتليق للوظيفة ؟

جيرالد — آراء لورد النجورث عن الحياة تختلف جداً عن آرائى .

ليدى هنستانتن — ولكن لا يجب أن يكون لك ياعزيزى

جيرالد أية آراء عن الحياة فى السن التى أنت فيها . فآراؤك لا مكان لها، ويجب أن تنقاد لآراء الآخرين فىهذا الأمر ، فقد قدم لك لورد النجورث ـ مجاملاً ـ أحسن العروض ،فضلاً عما فى السفر معه من متعة تتمثل فى رؤية العالم ، ورؤيته هى على الأقل أكثر مايمكن أن يتطلع إليه الإنسان ، وتحت إشراف أعظم رجل ممكن ، ثم المكث مع أنسب الناس ، الأمر الذى له أهميته القصوى فى هذه اللحظة الخطيرة من حياتك العملية .

جيرالد — لا رغبة لى فى مشاهدة العالم ... لقد رأيت منه ما يكفينى .

مسز ألونبى — أرجو ألاّ تكون معتقدا أنك شبعت من الحياة يامستر أربوثنط ، فحين يقول الإنسان قولك هذا يُفْهَم منه أن الحياة شبعت منه .

جيرالد — لا أرغب فى فراق والدتى .

ليدى هنستانتن ـ هذا ياجيرالد مجرد كسل من جانبك . لاتفارق والدتك ! لو كنتُ والدتك لأصررت على ذهابك .

(تدخل أليس من الباب على الركن الأيسر)

أليس ـ ترسل إليك مسز أربوثنط تحياتها يا سيدتى . إنها تشكو من صداع مؤلم ولا يمكنها مقابلة أى مخلوق فى هذا الصباح (تخرج من الركن الأيمن) .

ليدى هنستانتن ـ (تنهض) . آه ، صداع مؤلم . يؤسفنى ذلك ! ربما استطعت ياجيرالد أن تأتى بها إلى منزل آل هنستانتن هذا المساء إذا تحسنت صحتها .

جيرالد ـ أخشى ألا يكون ذلك هذا المساء ياليدى هنستانتن .

ليدى هنستانتن ـ فليكن فى الغد إذن . آه لو كان لك أب يا جيرالد لما سمح لك بإضاعة وقتك هنا ، ولأرسلك مع لورد النجورث فى الحال ، ولكن الأمهات ضعيفات جداً لدرجة أنهن يرضخن لأبنائهن فى كل شىء ، فالمرأة كلها قلب ، كلها قلب ... هيا بنا ياعزيزتى ، إذ يجب على أن أزور دار الكنيسة لأستفسر عن صحة مسز دوبنى ، فإنى أخشى أن تكون حالتها سيئة . ما أروع شيخ الكنيسة فى تحمله وصبره ، ما أروعه ! انه أكثر الأزواج عطفاً ، زوج

مثالى حقاً ! إلى اللقاء يا جيرالد ، وبلّغ والدتك أكبر تحياتى وحبى .

مسز ألونبى — إلى اللقاء يامستر أربوثنط .

جيرالد — إلى اللقـــاء . (تخرج ليدى هنستانتن ومسز ألونبى) .

(يشاهد جيرالد جالساً يقرأ الخطاب الذى سطره) .

بأى اسم يمكننى ان أوقعه ؟ أنا الذى لا حق لى فى حمل أى اسم (يوقـع الاسم ويضع الخطـاب فى الغلاف ويـكتب عليه العنوان . وفيما هو يتأهب لختمه يفتح الباب علي الركن الأيسر وتدخل منه مسز أربوثنط فيطرح شمـع الأختام جانبا ويقف الابن والأم وجهاً لوجهه) .

ليدى هنستانتن — (تتحدث من خلال باب الشرفة فى المؤخرة) إلى اللقاء ثانية ياجيرالد.إننا نطرق الطريق الأقصر وسط حديقتكم الجميلة . والآن تذكر نصيحتى لك . اشرع فى العمل مع لورد إلنجورث فى الحال .

مسز ألونبى — إلى اللقاء يامستر أربوثنط . تذكر أن

تحضر لى معك شيئاً جميلاً من أسفارك . لا أريد ملفحةً هندية . لاتحضر ملفحة هندية لأى سبب من الأسباب .
(تخرجان) .

جيرالد — انتهيت اللحظة من الكتابة إليه يا أماه .

مسز أربوثنط — لمن ؟

جيرالد — لأبى . كتبت أدعوه إلى القدوم إلى هذا المنزل الساعة الرابعة من هذا المساء .

مسز أربوثنط — لن يحضر إلى هنا . لن تطأ قدمه عتبة بيتى !

جيرالد — يجب ان يحضر .

مسز أربوثنط — إذا كنت يا جيرالد راغباً فى الذهاب مع لورد إلنجورث فعجّل ، اذهب قبل ان يقضى ذلك علىَّ ولكن لاتطلب إلى أن اُقابله .

جيرالد ـ إنك لاتفهميننى يا أماه . لاشىء فى العالم يغرينى على الذهاب مع لورد إلنجورث أو فراقك . إنك فى هذا الأمر

تعرفيننى بما فيه الكفاية بلا شك . لا ! كتبت إليه أقول :

مسز أربوثنط — ماذا لديك من قول يمكن أن تفضى به إليه ؟

جيرالد — ألا يمكنك ان تحزرى يا أماه ما سطرته فى هذا الكتاب ؟

مسز أربوثنط — لا !

جيرالد — إنك بلا شك تستطيعين أن تحزرى ذلك . فكرى ! فكرى فيما يجب ان يتم الآن ، فى الحال فى خلال بضعة الأيام القادمة .

مسز أربوثنط ـ ليس هناك ما يجب عمله .

جيرالد ـ كتبت إلى لورد النجورث أخبره بأنه يجب عليه أن يعقد عليك .

مسز اربوثنط ـ يتزوجنى ؟

جيرالد ـ سأجبره على ذلك يا أماه ، فالإساءة التى ألحقها بك يجب أن تمحى . ويجب ان يكفر عنها . قد تجرى العدالة

ببطء يا أماه . ولـكنها تتحقق في النهاية . ومن المحتم بعد بضعة أيام ان تصبحى زوجة لورد النجورث الشرعية .

مسز أربوثنط ـ ولكن ، يا جيرالد . .

جيرالد ـ وإنى لأصر على قيامه بذلك . سأجبره عليه ولن يجرؤ على الرفض .

مسز أربوثنط ـ ولـكنى أنا التى ترفض ياجيرالد ، ان أتزوج لورد إلنجورث .

جيرالد ـ لا تتزوجينه ؟ أماه !

مسز أربوثنط ـ لن أتزوجه .

جيرالد ـ ولـكنك لا تفهمين ... إنى أتـكلم لخيرك لا لخيرى أنا ، فهذا الزواج ، هذا الزواج ضرورى ، هذا الزواج الذى يجب أن يتم لأسباب واضحة ، لن يفيدنى فى شىء ، ولن يمنحنى اسماً استطيع أن أحمله عن حق وشرعية ، ولـكنه سيعنى شيئاً لك دون شك ، ذلك أنك يا أماه يجب أن تصبحى زوجـة الرجل الذى هو أبى ، وإن جاء ذلك متأخراً . أليس هـذا شيئا ؟

مسز أربوثنط ـ لن أتزوجه .

جيرالد ـ بل يجب ذلك يا أماه .

مسز أربوثنط ـ لن أفعل ، إنك تتكلم عن التكفير عن خطأ وقع . ولكن ما هي الكفارة التي يمكن أن تكون لي ؟ لا يمكن أن تكون هناك كفارة ، فقد لحقني العار ، أما هو فلم يُصَبْ بشيء . وهذا كل ما في الأمر . إنها القصة المعتادة لكل رجل وامرأة كما تحدث عادةً ، وكما تحدث على الدوام ... والنهاية هي النهاية العادية : المرأة تقاسي ، والرجل يصبح طليقاً حراً .

جيرالد ـ لا أدري إنْ كانت هذه هي النهاية المعتادة ياأماه .أرجو ألا تكون.ولكن حياتك أنت لن تنتهي على هذه الصورة على أية حال . فسيقوم الرجل بإصلاح ما يمكن إصلاحه ، ولكن هذا لا يكفي ، ولا يمحو الماضي،وأنا أعرف ذلك ، ولكنه يهيء على الأقل مستقبلاً أفضل ، أفضل بالنسبة لك .

مسز أربوثنط ـ إنى أرفض الزواج بلورد إلنجورث.

جيرالد ـ إذا قدم إليك بنفسه وطلب إليك أن تصبحى زوجته فسوف تعطينه جواباً مختلفاً. تذكرى أنه أبى .

مسز أربوثنط ـ إذا جاء بنفسه ، وهـذا أمر لن يفعله فسيكون جوابى هو هو . تذكر أننى امك .

جيرالد ـ إنك يا أماه تزيدين الأمور صعوبةً بتحدثك على هذه الصورة . إنى لا أستطيع أن أفهم لمَ لاتنظرين إلى الأمر من الزاوية الصحيحة الواجبـة . يجب أن يتم هذا الزواج لتزول مرارة حياتك ، ولينقشع ذلك الظل الذى يخيم على اسمك . ولا بديل لذلك . ويمكننا أنت وأنا أن نسافر معاً إلى مكان بعيد ، ولـكن يجب أن يتم الزواج أولاً . إنه واجب عليكِ تأديته ، ليس نحو نفسك وحدها ، بل نحو غيرك من النساء ، نعم ، نحو جميع نساء الأرض الأخريات خشية أن يغرر بعدد آخر منهن .

مسز أربوثنط ـ لست مدينةً بشىء لغيرى من النساء . فليست هناك واحدة منهن تستطيع معونتى . ليست هنـاك

امرأة واحدة فى العالم أستطيع أن ألجأ إليها لأطلب الرحمة إذا كان لى أن أقبل الرحمة ، أو لأستدر العطف ، إذا استطعت أن أحظى به ، فالمرأة قاسية على المرأة ، وتلك الفتاة ، بالرغم من طيبتها ، هربت من الحجرة ليلة أمس ، كأن بى داء. إنها محقة فيما فعلت، فأنا مخلوقة موبوءة، ولكن سيئاتى تخصنى وحدى وعلى تحملها ، يجب أن أحملها وحدى فما شأن اللواتى لم يأثمن بى ، وما شأنى بهن ؟ إننا لا نفهم بعضنا البعض (تدخل هستر من الخلف)

جيرالد ـ أتوسل اليك أن تفعلى ماسألتك .

مسز أربوثنط ـ أى ابن طلب قط إلى أمه أن تقدم مثل هذه التضحية الشنيعة ؟ لم يوجد هذا الابن ؟

جيرالد ـ وأية امرأة رفضت قط أن تتزوج والد ابنها ؟ لا توجد هذه المرأة .

مسز أربوثنط ـ إذن لأكن أول امرأة تفعل ذلك . لن أتزوجه .

جيرالد ـ إنك يا أماه تعتقدين فى الدين ، ونشأتنى على

الاعتقاد به أيضاً : وأنا واثق يا أماه ان دينك ، الدين الذى علمتنيه صغيراً ، يجب أن يوحى اليك بأنى على حق . وأنت تعلمين ذلك وتحسّين به .

مسز أربوثنط ـ لا أعلم ذلك ولا أحس به ، ولن أقف أمام الهيكل وأسأل بركة الله على هذه السخرية الشنيعة ، سخرية عقد الزواج بينى وبين جورج هارفورد . فلن أردد الكلمات التى تأمرنا الكنيسة بترديدها . لن أقول هذه الكلمات . لا أجرؤ على قولها . كيف لى أن أقسم بأن أحب الرجل الذى أمقت ، وأكرم ذلك الذى جلب عليك العار ؟ وأطيع مَنْ ، فى بسْط سلطانه علىّ ـ حملنى على إتيان المنكر ؟ لا ! فالزواج عهد مقدس بين اثنين متحابين . ولم يُجْعَل لرجل على شاكلته أو لامرأة على شاكلتى . اعلم ياجيرالد أنى كذبت على العالم لأنقذك من سخريات العالم وتعييراته . كذبت على العالم . عشرين سنة لم أجرؤا على المجاهرة بالصدق ، ومَنْ ذا الذى يجرؤ ؟ ولكننى لن أكذب من أجل نفسى أمام

الله وفى حضرته... لا ياجيرالد... لن يربطنى بجورج هارفورد أى حفل زواج رسمى سواء أكان كنسياً أومدنياً ، فلربما كنت فى الواقع مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالرجل الذى تركنى أغنى مما كنت ، بالرغم من أنه سلبنى ، ذلك أنى وأنا أتمرغ فى وحل الحياة ، حصلت على الدرة اليتيمة ، أوماظننته الدرة .

جيرالد ــ هأنذا لا أفهمك الآن .

مسز أربوثنط ــ لا يفهم الرجال حقيقة الأمهات . فأنا لا أختلف عن غيرى من النساء إلا فيما لحقنى من ضرر ، وفيما أتيت من شر وماتوثت تحته من عقاب صارم وعار مقيم . ومع ذلك فقد كان على أن أواجه الموت وأنا أحملك فى أحشائى ، وأن أصارعه وانا أرضعك من صدرى . لقد صارعنى الموت من أجلك . وعلى جميع الأمهات أن يصارعن الموت إبقاءً على حياة فلذات أكبادهن ، فالموت يبقى أطفالنا لأنه عاقر لاولد له . كنت أكسوك يا جيرالد حين يتعرى جسمك ، وكنت أطعمك حين تجوع . آناء الليل وأطراف النهار ، طيلة ذلك الشتاء المديد كنت أرعاك . ونحن النساء لانستنكف من تأدية

أحقر الأعمال ، أو أدنى المسئوليات فى سبيل مَنْ نحب ، وما كان أعظم حبي لك ! لقد فاق حب حِنّه لصموئيل[1] . كنتَ محتاجاً إلى هذا الحب ؟ فقد كنتَ هزيلاً ، والحب وحده هو الذى كفل لك الحياة . ذلك أن الحب هو وحده الكفيل بمنح الحياة لأى إنسان ، وما أكثر ما يهمل الأولاد أمرنا ويسببون لنا الألم دون تفكير منهم ، ونحن الأمهات يذهب بنا الخيال دائماً إلى أنهم سوف يفون ديننا عندما يصيرون إلى مرتبة الرجال ، ولكن هذا لا يحدث . فسرعان ما يجتذبهم العالم بعيداً عنا ، فيختارون لأنفسهم صديقات يشعرون معهن بسعادة أوفر مما يشعرون معنا ، ويستمتعون بأشياء يحرّمونها علينا ، ورغبات لا نصيب لنا فيها . وكثيراً ما جاروا علينا ، فإنهم حين تداهمهم مرارة الحياة يلقون اللوم علينا ، فإنْ

---

(1) إشارة الى قصة النبي صموئيل فى التوراة (راجع سفر صموئيل الأول ص ١ : ٢٠) لم يكن لحنة أولاد ، وكانت ضرتها تعيرها بذلك ، فصلّت حنة بحرارة إلى الله فرزقها ابنها صموئيل الذى وهبته للهيكل — المترجم .

وجدوها حلوةً ،لا نذوق حلاوتها معهم... لقد كونتَ لنفسك أصدقاء عديدين ودخلتَ إلى بيوتهم وسعدتَ معهم. أما أنا، فلأنى أعرف السر الذى بين ضلوعى ، لم أجرؤ على مجاراتك ، بل اقتعدت الدار وأغلقت علىّ الباب ، حاجبةً عنى الشمس ، باقيةً فى الظلمة . أى عمل لى فى ديار الشرفاء ؟كان ماضىّ دائما يحوم حولى ، وظننت أنتَ أنى لا أحفل بمسرات الحياة . دعنى أقول لك إنى كنت تواقة إليها ، ولكنى لم أملك الجرأة على لمسها ، ذلك لأنى كنت أشعر أن لا حق لى فيها ، وظننت أنى أوفر سعادة وأنا أعمل بين الفقراء ، وخُيِّل إليك أنها رسالتى فى الحياة . إنها لم تكن ، ولكن أى مكان آخر كان علىّ أن أطرقه ؟ فالمرضى لا يسألونك : هل اليد التى تصقل وسائدهم طاهرة ؟، والذين يحتضرون لا يحفلون إنْ كانت الشفاه التى تلمس جباههم عرفت القبلة الآثمة . كنتَ أنتَ موضع تفكيرى طيلة الوقت . كنت أمنحهم من فائض حبى لك ، وكنت أجود عليهم بحب لم يكن لهم ... وظننتَ أيضاً أنى كنت أسرف فى الذهاب إلى الكنيسة ، وفى تأدية الواجبات الكنسية ، فإلى أى مكان آخر كنت ألجأ ، وبيت

الله هو البيت الوحيد الذي يرحب بالآثمين ؟ كنت يا جيرالد دائماً في قلبي ، محتلاً لفؤادي ، لأنني لم أندم قط على خطيئتي بالرغم من الصلوات التي كنت أرددها ، وأنا جاثية في بيت الله يوماً بعد يوم ، صبحاً أو عشياً . كيف أندم على خطيئتي وأنت ثمرتها يا حبيبي ؟ وحتى الآن ، وأنت تقسو عليّ ، لا تواتيني الندامة . لا أندم لأنك ، تعني لي أكثر مما تعنيه البراءة والطهارة . وإني لأود بالأحرى أن أكون أمك عن أن أكون المرأة الدائمة الطهارة ... آه لك ، ألا ترى ؟ ألا تدرك ؟ إن عاري هو الذي جعلك عزيزاً عليّ ... إن عاري هو الذي ربطك بي هذا الرباط الوثيق . إن الثمن الذي دفعته فيك ـ من روحي وجسدي ـ هو الذي يجعلني أكن لك هذا الحب . بالله عليك لا تسلني القيام بهذا العمل الشنيع ، يا ابن عاري ، بل ابق ، كما انت ، ابن عاري !

جيرالد ـ لم أكن اعلم ياأماه أنك أحببتني كل هذا الحب وسأضحو أبر بك مما كنت ، ولن نفترق أنا وأنت أبدا ... ولكني ياأماه لاصبر لي على ذلك ... يجب أن تصبحي زوجة أبي يجب أن تتزوجيه . إنه واجبك .

هستر ـ (تندفع إلى الأمام وتعانق مسز أربوثنط) .

لا ! لا ! لن تفعلى ذلك ، فهذا هو العار الحقيقى وأول عار ترتكبينه . الخزى الحقيقى، وأول خزي يلحق بك . اتركيه وتعالى إلى ، فهناك بلاد أخرى غير انجلترا... بلاد أخرى وراء البحار أفضل وأوفر حكمة وأقل ظلما وإجحافا . والعالم كبير متسع .

مسز أربوثنط ـ لا ! لست أنا التى تفعل ذلك . فالعالم في نظرى انكمش وأصبح فى حجم الكف ، وطريقى ملىء بالأشواك أينما سرت .

هستر ـ لن يكون كذلك . سوف نجد الوديان الخضراء والمياه العذبة فى مكان ما ، وإذا بكينا ، نعم إذا بكينا ، فسنبكى معاً . ألسنا كلانا نحبه ؟

جيرالد ـ هستر !

هستر ـ (تلوح له أن يتراجع إلى الوراء) لاتفعل ! لاتفعل! لا يمكنك أن تحبنى إن لم تحبها هى أيضاً . لا تستطيع أن تكرمنى إلا وهى أطهر فى نظرك مما كانت . إنها تمثل الأمومة

الشهيدة . لم تتلقَ الضربة وحدها ، فقد تلقيناها نحن النساء جميعاً معها .

جيرالد ـ هستر ، هستر ، ماذا بوسعى أن أفعل ؟

هستر ـ أتحترم الرجل الذى تدعوه أباك ؟

جيرالد ـ أحترمه ؟!!... إنى أحتقره ... إنه فاجر .

هستر ـ أشكرك لإنقاذى منه ليلة أمس .

جيرالد ـ ليس هذا شيئاً . لا أتردد فى أن أموت فى سبيل إنقاذك ، ولكن ما بالك لا تخبرينني بما يجب علىّ فعله ؟

هستر ـ ألم أشكرك لإنقاذك إياى ؟

جيرالد ـ ولكن ما الذى يجب عمله ؟

هستر ـ سَلْ قلبك ، لا قلبي . فلم يكن لى أم لأنقذ أو أعير .

مسز أربوثنط ـ إنه قاس ، إنه قاس . دعيني أذهب .

جيرالد ـ (يندفع نحو أمه ويجثو عند قدميها) سامحيني يا أماه ! إن اللوم علىّ .

مسز أربوثنط ـ لا تقبّل يدىّ فإنهما باردتان ، وقلبي أيضاً بارد ، إذ ألمّت به ملمة حطمته.

هستر ـ آه لا تقولى ذلك . فالجروح تهب القلوب حياةً . قد يحيل السرور القلب حجراً ويفقده المال حساسيته . أما الحزن فلا يستطيع أن يحطمه . ولـكن ما هى الأحزان التى تشكين منها الآن ؟ إنك فى هذه اللحظة وأنت العزيزة عليه دائماً ، أعز عليه الآن من أى وقت مضى . إنك العزيزة دائماً، ألا ترفقت به ؟

جيرالد ـ إنك أمى وأبى فى آن واحد . فلا حاجة بى إلى آخر يلى أمرى ، لقد تـكلمتُ بذلك من أجلك ، من أجلك وحدك . بالله عليكِ قولى شيئاً يا أماه . أوَجدْتُ حبيبةً لأفقد أخرى ؟ لا تقولى ذلك يا أماه . إنك قاسية (ينهض ويرتمى على الأريـكة وهو يجهش بالبـكاء) .

مسز أربوثنط ـ (لهستر) ولـكن هل وجد حقا حبيبة أخرى ؟

هستر ـ إنك تعلمين أنى دائما أحببته .

مسز أربوثنط ـ ولـكننا فقراء جداً .

هستر ـ أى محبوب فقير ؟ لا يوجد هذا الشخص . إنى أكره ثروتى فهى عبء ثقيل ، ليقاسمنى إياها .

مسز أربوثنط ـ ولكننا محقَّرون ، من طبقة المنبوذين ، وجيرالد لا يحمل اسما شرعياً ، فأوزار الآباء يجب أن يحملها الأبناء ... إنها شريعة الله .

هستر ـ كنتُ مخطئة .. شريعة الله هى المحبة .

مسز أربوثنط ـ (تنهض وتمسك بهستر من يدها وتسير بها متباطئة إلى حيث يرقد جيرالد على الأريكة وقد دفن رأسه بين يديه . تلمسه فيرفع رأسه) جيرالد ، لا أستطيع أن أعطيك أباً ولكنى أتيتك بزوجة .

جيرالد – أماه ، لست أهلاً لها ولا أهلا لك .

مسز أربوثنط – فهى إذن الأولى ، وأنت جدير بها ، وعندما تفارقنى يا جيرالد وتذهب بعيداً ... معها . . اذكرنى من حين لآخر ! لا تنسنى ، وحين تصلى ، صلِّ من أجلى . يجب علينا أن نصلى ونحن فى أتم سعادتنا ، وستكون سعيداً يا جيرالد .

هستر – أتراك تفكرين فى الافتراق عنا ؟

جيرالد – إنك لن تتركينا يا أماه ؟

مسز أربوثنط – قد أجر عليكما العار .

جيرالد – أماه ؟

مسز أربوثنط – إذن سأتركـكما إلى حين ، وإذا سمحتما لى فسأظل قريبة منكما .

هستر – (لمسز أربوثنط) هيا بنا نخرج إلى الحديقة .

مسز اربوثنط – فيما بعد ، فيما بعد ! (تخرج هستر بصحبة جيرالد) (تتجه مسز أربوثنط نحو الباب فى الجانب الأيسر . تقف عند المرآة التى فوق المدفأة وتنظر فيها) . تدخل أليس من الركن الأيمن) .

أليس – هناك شخص يريد أن يراك يا سيدتى .

مسز أربوثنط – قولى إننى لست فى الدار . أرينى بطاقته (تأخذ البطاقة من الطبق ، وتنظر إليها) قولى إننى لا اريد أن أراه . (يدخل لورد إلنجورث ، تشاهده مسز أربوثنط فى المرآة فتنتفض ولكنها تظل مديرة ظهرها له . تخرج أليس)

ما الذى لديك لتقوله اليوم لى يا جورج هارفورد ؟ ليس هناك مايمكن أن تقوله لى . يجب عليك مغادرة هذا البيت .

لورد إلنجورث - إن جيرالد يعرف الآن كل شيء عنك وعنى يا راشيل ، ولذلك يجب أن نتفق على ترتيب ما يلائمنا نحن الثلاثة ، وأؤكد لك أنه سيجدنى ألطف الآباء وأكرمهم .

مسز أربوثنط - قد يحضر ابنى فى أية لحظة . أنقذتك منه ليلة أمس ، ولكنى قد لا أستطيع ان أنقذك منه ثانية . فابنى متأثر جداً للعار الذى لحقنى ، إنه شديد التأثر به . فأرجوك أن تمضى .

لورد إلنجورث - (يجلس) كانت ليلة الأمس منحوسة للغاية . تلك الفتاة المتزمتة تقيم تلك الضجة الكبرى لأنى أردت تقبيلها . أى ضرر يمكن أن تحدثه القبلة ؟

مسز اربوثنط - (تستدير نحوه) قد تدمر القبلة حياة إنسان يا جورج هارفورد . وأنا أعرف ذلك . أعرفه جيداً .

لورد إلنجورث - لن نبحث هذا الموضوع الآن . إن ما له أهمية اليوم ، كما كان بالأمس ، هو ابننا . فأنا أحبه للغاية

كما لا يخفى عليك . وأعجبت جداً بتصرفه ليلة أمس ، وإنْ كان هذا يبدو غريباً عليك . لقد هبّ للدفاع عن تلك الفتاة المصطنعة الحياء فى خفة مدهشة . إنه فعل ما كنت أود أن يفعله ابن لى ، إلاّ من حيث وقوفه فى صف المتزمتين ، وهو موقف لا يجب أن يتخذه ابن لى . إنه موقف مخطىء دائما ، والآن إليك ما اقترح .

مسز أربوثنط ـ لا تهمنى أى اقتراحات تقدمها يا لورد إلنجورث .

لورد النجورث ـ اتباعاً للقوانين الإنجليزية السخيفة ، لا يمكننى المطالبة بشرعية بنوّة جيرالد لى ، ولكن فى إمكانى أن أترك له ما أملك . وأملاكى فى النجورث موقوفة بالطبع ، فضلاً عن أنها أشبه بثكنات الجند وتبعث الملل فى النفس ، يمكنه أن يأخذ أشبي ، وهى أجمل منها ، وهاربرو ، أصلح مكان للصيد فى شمال انجلترا ، والمنزل فى ميدان سانت جيمس . ماذا يمكن للرجل المهذب أن ينال فى هذا العالم أكثر من ذلك؟

مسز أربوثنط ـ لاشىء أكثر ، وأنا واثقة من ذلك جداً .

لورد إنجورث - أما من حيث اللقب، فهو فى الحقيقة شىء يبعث على الضيق فى عهد الديموقراطية هذا . لما كنت جورج هارفورد فحسب، كان عندى كل ما كنت أريد، أما الآن فعندى فقط كل شىء يصبو إليه غيرى، وهو أمر لا لذة فيه . هذا هو اقتراحى .

مسز أربوثنط - قلت لك إن اقتراحاتك لا تهمنى ، وأرجوك أن تنصرف .

لورد النجورث - ويبقى الولد معك ستة أشهر فى السنة ومعى ستة الأشهر الأخرى، وهذه قسمة عادلة، أليس كذلك؟ وتستطيعين أن تطلبى أى مرتب تعينين . أما فيما يتعلق بماضيك فلا أحد يعرفه إلا أنا وجيرالد، وهناك بالطبع الفتاة المتزمتة ذات الثوب الرقيق الأبيض، ولكن لا أهمية لها، إنها لن تستطيع أن تردد القصة دون أن تقدم تفسيراً، وهى أنها اعترضت على تقبيلى لها، وهل تستطيع ذلك ؟ سيظنها جميع النساء حمقاء وسيحسبها الرجال شخصاً مملاً، ولا حاجة بك إلى الخوف من أن جيرالد لن يكون وريثى، كذلك لا حاجة

بى إلى ان أذكرك بأن لا نية لى فى الزواج .

مسز أربوثنط - جئت متأخراً ، فابنى غير محتاج إليك ، لستَ ضرورياً له .

لورد النجورث ـ ماذا تعنين يا راشيل ؟

مسز أربوثنط - أعنى أنك لست ضرورياً لحياة جيرالد العملية ، فهو غير محتاج إليك .

لورد النجورث - لست أفهمك .

مسز أربوثنط - انظر الى الحديقة (ينهض لورد إلنجورث ويتجه نحو النافذة) يجدر بك ألا تدعهما يريانك ، فإنك تثير في نفوسهما ذكريات مريرة (ينظر إليهما فينتفض) إنها تحبه . إنهما متحابان . نحن فى منجاة منك، وسنرحل بعيدا .

لورد إلنجورث - إلى أين؟

مسز أربوثنط - لن نخبرك ، وإنْ وجدتَ مكاننا فسننكر أننا نعرفك . أراك مندهشاً . أى ترحاب تظنك واجده من الفتاة التى أردت أن تدنس شفتيها ، ومن الفتى الذى جلبت العار على حياته ، ومن الأم التى لحقها الخزى منك ؟

لورد إلنجورث — لقد أصبحتِ قاسيةً ياراشيل .

مسز أربوثنط — كنتُ ضعيفة فى يوم من الأيام ، وإنه من الخير لى أنى تغيرت .

لورد إلنجورث — كنتُ صغيرَ السن جداً فى ذلك الوقت ، ونحن الرجال نعرف الحياة فى سن مبكرة جداً .

مسز أربوثنط — ونحن النساء نعرف الحياة بعد ضياع الوقت . وهذا هو الفارق بين الرجال والنساء (فترة سكون)

لورد إلنجورث — أريد ابنى يا راشيل . قد لا تفيده أموالى الآن ، وقد لا أفيده أنا بشىء ، ولكنى أريد ابنى . إجمعى شملنا ياراشيل ، لأنك على ذلك قادرة إذا أردت . (ينظر الخطاب على المنضدة) .

مسز أربوثنط — لا مكان لك أنت فى حياة ابنى . إنه لا يحفل بك .

لورد النجورث — فلِمَ يكتب لى إذن ؟

مسز أربوثنط — ماذا تعنى ؟

لورد إلنجورث — وما هذا الخطاب (يتناول الخطاب)

مسز أربوثنط ـ هذا ... لاشىء . أعطه لى .

لورد النجورث ـ ولكنه يحمل عنوانى واسمى .

مسز أربوثنط ـ ليس لك أن تفضه . إنى أمنعك من أن تفضه .

لورد النجورث ـ وبخط جيرالد .

مسز أربوثنط ـ ما كان يجب أن يرسل . إنه خطاب سطره هذا الصباح قبل أن يقابلنى ، ولكنه يأسف لكتابته ، يأسف جداً . فلا يجب عليك أن تفضه . أعطه لى .

لورد إلنجورث ـ إنه يخصنى (يفض الخطاب ويقرأه متمهلاً ، وتظل مسز أربوثنط تراقبه طيلة الوقت) . أظنك قرأت هذا الخطاب ياريشل .

مسز أربوثنط ـ لا

لورد النجورث ـ أتعرفين ما بداخله ؟

مسز أربوثنط ـ نعم !

لورد النجورث ـ لا اعترف لحظة واحدة بأن الولد محق فيما يقول ، ولا أعترف أنه من واجبي قط أن أتزوجك ، وأنكر عليه ما كتب كلية ، ولكنى مستعد لذلك، فى سبيل

استعادة ابنى . نعم أنا على استعداد لأن أتزوجك ، يا راشيل .
وأن أعاملك دائما بالرعاية والإحترام الواجبين نحو زوجتى .
وسأتزوجك فى أسرع وقت تختارين. أعدك بذلك وعداً شريفاً.

مسز أربوثنط – أعطيتني هذا الوعد ذات مرة وحنثت به.

لورد إلنجورث – سأحفظه هذه المرة ، وسيدلك هذا على أنى أحب ابنى بالقدر الذى تحبينه على الأقل ، لأنى حين أتزوج يا راشيل سألتزم بالتخلى عن بعض المطامح ، وهى مطامح عليا أيضاً ، إذا صح أن نسمى أى مطمح عالياً .

مسز أربوثنط – أرفض الزواج بك يا لورد النجورث !

لورد النجورث – أجادة أنت ؟

مسز أربوثنط – نعم .

لورد النجورث – ألا أبحت لى بالأسباب ؟ إنها لتهمنى جد الأهمية .

مسز اربوثنط – لقد شرحتها لولدى منذ لحظة .

لوردالنجورث – يخيل إلى أنها أسباب عاطفية ، ألم تكن كذلك ؟ أنتن النساء تعشن بعواطفكن ولها ، وليست لديكن فلسفة للحياة .

مسز أربوثنط ـ إنك على حق . نحن النســاء نعيش بانفعالاتنا ولها .. لعواطفنا ولها إذا أردت . وأنا عندى منها عاطفتان يا لورد النجورث : حبى له وكراهيتى لك ، وأنت لا تستطيع أن تقتلهما ، لأن الواحدة تغذى الأخرى .

لوردالنجورث ـ أى حب ذاك الذي يحتاج إلى أن تكون الكراهية شقيقته ؟

مسز أربوثنط ـ إنه الحب الذى أكنه لجيرالد . أتظنه فظيعاً ؟ كل حب فظيع ، وكل حب مأساة . احببتك ذات مرة يا لورد النجورث . . . أواه ! ما أشدها مأساة أن تحبك امرأة !

لوردالنجورث ـ إذن فأنت ترفضين حقيقةً أن تتزوجينى ؟

مسز أربوثنط ـ نعم .

لورد النجورث ـ لأنك تكرهيننى ؟

مسز أربوثنط ـ نعم .

لورد النجورث ـ أو يكرهنى ابنى كما تكرهيننى ؟

مسز أربوثنط ـ لا .

لورد النجورث ـ يسرنى ذلك يا راشيل .

مسز أربوثنط ـ إنه يحتقرك فحسب .

لورد النجورث ـ يا للخسارة ! إنى أشفق عليه من ذلك !

مسز أربوثنط ـ لا تكن مغتراً يا جورج ، فالأبناء يفتحون عيونهم على حب والديهم ، وبعد قليل يصبحون قضاة عليهم ، وقلما يغفرون لهم ، إذا كان للغفران سبيل .

لورد النجورث ـ (يعيد قراءة الخطاب بتمهل) هل لى أن أسأل بأية أدلة جعلت الفتى الذى سطر هذه الرسالة ، هذه الرسالة العاطفية الجميلة ، بأية أدلة جعلته يعتقد بأنك لا يجب أن تتزوجى أباه والد ابنك ذاته ؟

مسز أربوثنط ـ لست أنا التى جعلته يرى ذلك . هناك شخص آخر .

لورد النجورث ـ أى شخص عتيق هذا ؟

مسز أربوثنط ـ الفتاة المتزمتة يا لورد النجورث (فترة سكون) .

لورد النجورث ـ (يجفل ثم ينهض متثاقلاً ويتجه إلى المنضدة حيث وضع قبعته وقفازيه . تُشَاهَدْ مسز أربوثنط واقفة إلى جانب المنضدة . يتناول قفازاً ويشرع فى لبسه)
ليس لى إذن ان أرجو شيئاً هنا يا ريشيل ؟

مسز أربوثنط ـ لا شيء .

لورد النجورث ـ أوداعاً إذن ؟

مسز أربوثنط ـ أرجو أن يكون أبدياً هـذه المرة ، يا لورد النجورث .

لورد النجورث ـ يا للغرابة ! إنك فى هذه اللحظة تبدين تماماً كما كنت تبدين فى تلك الليلة التى تركتنى فيها منذ عشرين عاماً،وينم فمك عن التعبير ذاته . اقسم بشرفى ياراشيل أنى لم تحبنى امراة بقدر ما أحببتنى أنت . قدمت نفسك لى كزهرة أعبث فيها كما أشاء . كنت دمية من أجمـل الدمى وقصة غرام قصيرة من أعظم قصص الغرام إغراءً وفتنةً (يُخرج ساعته) الثانية إلا ربع . يجب أن أعود إلى هنستانتن . لاتظنى انى سأراك ثانيةً هناك . يؤسفنى أن أقول ذلك . يؤسفنى

جداً . كان اختباراً مسلياً أنى قابلت ، خليلتى و ... بين قوم من مرتبتى، وعاملتها أيضا معاملة جدية (تتناول مسز أربوثنط القفاز وتضرب به لورد إلنجورث على وجهه . ينتفض لورد النجورث . يترنح من الاهانه التى لحتته عتاباً له . يتمالك نفسه ويتجه إلى النافذة حيث ينظر إلى ابنه ـ يتحسر ويترك الغرفة)

مسز أربوثنط ـ ترتمى على الأريكة وهى تبكى بحرقة)

كان يوشك أن يتفوه بالكلمة ، كان على وشك ان يتفوه بها .
(يدخل جيرالد وهستر عائدين من الحديقه)

جيرالد ـ ولكنك يا أماه لم تخرجى قط إلى الحديقة ، ولذا أتينا نحن لنأخذك . أو كنت تبكين يا أماه ؟ (يجثو إلى جانبها)

مسز أربوثنط ـ ولدى ! ولدى ! ولدى ! (تداعب شعر رأسه بأصابعها) .

هستر ـ (تقترب منهما) ولكنك الآن أم لاثنين . أتقبلين أن أكون ابنتك ؟

مسز أربوثنط ـ (ترفع رأسها) أو تختارينني أما ؟

هستر ـ من بين جميع النساء اللواتى عرفتهن (يتجه الثلاثة نحو الباب المؤدى إلى الحديقة وقد اشتبكت أياديهم حول خواصرهم . يتجه جيرالد إلي المنضدة فى الركن الأيسر ليأخذ قبعته ، وفيما هو عائد يلمح قفاز لورد النجورث على الأرض فيلتقطه) .

جيرالد ـ أماه ! قفاز مَنْ هذا ؟ لقد كان عندك زائر فمَنْ هو ؟

مسز أربوثنط ـ عجباً .. لا أحد .. لا أحد بصفة خاصة . إنه قفاز رجل بلا أهمية !.

(يسدل الستار على ختام المسرحية)

الناشر
دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع
عمارة رمسيس . ميدان رمسيس (باب الحديد) القاهرة

دار النصر للطباعة والنشر والإعلان
تليفون : ٤٧٨٧٦


Bibliotheca Alexandrina
0209150